الجماعات الإسلامية .. من تاني

"أسرار وتفاصيل من ١٩٦٤ حتى الآن"

السيد الحراني

الجماعات الإسلامية .. من تاني

"أسرار وتفاصيل من ١٩٦٤ حتى الآن"

السيد الحراني

الطبعة الأولى ، ٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

١٠ شارع عبد الهادى الطحان ، المرج الغربية

موبايل :٠١١٠٦٢٢١٠٣٠

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

كريم آدم

تدقيق لغوي :

د.إيمان الدواخلي

رقم الإيداع : ٢٠١١/١٠٦٤٣

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٤٨٨-١٥٢-٢

الجماعات الإسلامية .. من تاني

"أسرار وتفاصيل من ١٩٦٤ حتى الآن"

السيد الحراني

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

الجماعات الإسلامية .. من تاني

"أسرار وتفاصيل من ١٩٦٤ حتى الآن"

أسرار حول حادث المنصة

تفاصيل عن خالد الإسلامبولي وعبود الزمر

وطارق الزمر وعمر عبد الرحمن



الإهداء

إلى أبي المثل والقدوة.. إلى أمي الشيء الجميل فى حياتي..
إلى أشقائي زهور حياتي من أجلهم ومن أجل ألا ينجرفوا فى
مثل هذه التيارات.. سطرت هذا الكتاب

السيد الحراني



شكر

لم أكن أتمنى أكثر مما أنا فيه الآن .. ولأن الحياة عبارة عن طريق، والطريق غالبا يكون صعبا .. بل صعبا جدا .. بل صعبا جدا جدا جدا .. إلي ما لا نهاية .. ففي وسط ما وصفت من محيط الصعوبات، تجد هناك من يقف بجانب الـ (بني آدم)، ويشجعه بطريقة مباشرة، وغير مباشرة. ولذلك وجدت من واجبي أن أوجه الشكر لكل من ساهم في بنائي، وهم بالملايين .. ولكني هنا أخص بالشكر من ساعدوني بطريقة مباشرة، وعلي رأسهم أستاذي الأديب الكبير "عبد المجيد مصطفي عبد الوهاب" صاحب كتابي "السادات أديبا" ، و"الاتجاه المعاكس"، والإعلامي الكبير والكاتب الصحفي المرموق "وائل الابراشي"، والكاتب الصحفي "مجدي الجلاد" وصديقي العزيز "محمد الساعي" .

وأيضا أشكر من ساعدوني بطريقة غير مباشرة، سواء تعلمت من خلال القرب منهم، أو من خلال إنتاجهم الأدبي والفكري والصحفي المطروح، وهم : د/محمد الباز، و د/مصطفي محمود، و د/نوال السعداوي، و د/علاء الأسواني، و عادل حمودة، وصلاح عيسى، وأنيس منصور، ومحمود السعدني، وأحمد المسلماني، وخالد صلاح، وعمرو

خفاجي، وبلال فضل، ومكاوي سعيد، و علي أمين، ومصطفي أمين، وإبراهيم نافع، وأسامة سرايا، وغابرييل غارسيا ماركيز، وفيدور ميخائيلوفتش دوستويفسكي، .. وآخرون لا تكفي صفحات الكتاب لتحمل أسماءهم .

إليهم جميعا شكري وحبي وامتناني .....

ـ المقدمــة ـ

"الزنبقات السود في قلبي .. وفى شفتي اللهب .. من أي غاب جئتني .. يا كل صلبان الغضب .. بايعت أحزانى .. وصافحت التشرد والسغب .. غضب يدي .. غضب فمي .. ودماء أوردتي عصير من غضب .. يا قارئي لا ترج منى الهمس .. لا ترج الطرب .. هذا عذابي .. ضربة في الرمل طائشة وأخرى في السحب .. حسبي بأني غاضب والنار أولها غضب"
ــ شعر محمود درويش ــ

فى مثل هذه اللحظات، وفى مثل هذا المساء، الذى أسطر فيه صفحات هذا التحقيق "الكتاب".. وقبل أكثر من خمسين عاما - ربما كنت يومها لم أولد بعد- عندما اجتمع طلاب الثانوية العامة "إسماعيل طنطاوي، وعلوي، مصطفى ونبيل البرعي"، وقرروا أن يكونوا أول تنظيم فى مصر، والعالم العربي، يدعو إلى الجهاد والعنف، من أجل إقامة الخلافة الإسلامية .. تلك الممارسات التى راح ضحاياها، الكثير من الأبرياء، والتى أستنكِرها ، واستنكَرَها الجميع من قبلي، وأيضا استنكرها الكثير من المنتمين لصفوف الجماعات الإسلامية..

فمن أجل هؤلاء الذين رحلوا، مخلفين وراءهم الدم

والدمار.. ومن أجل أجيال حالية تعيش بيننا، ومازالوا يؤمنون بأفكار تخلى، وتراجع عنها الكثير من مخرجيها.. ومن أجل أجيال قادمة، يجب أن تأتي لبناء مستقبل بلا دماء، أو تعصب .. أقدم هذا التحقيق "الكتاب" تقديرا للكبار، الذين حاولوا أن يكتبوا فى هذا الملف من قبلي - وإن لم يصلوا إلى نتائج فعالة - وتحذيرا للصغار - تلك الأجيال التى ينتمى إليها أبنائي وأشقائي- ..

فكيف يمكن أن نحتفل، فقط بما يستحق أن نحتفل به؟ وكيف يمكن أن نتعلم من الأخطاء؟ وكيف يمكن أن ندرك أن العقول يجب أن تقاوم احتلال تلك الأفكار الهدامة، التى تعيش تحت ستار الدين؟ وكيف يمكن أن نكف لحظة عن الغناء؟ ..

اليوم، ليكن الله معنا، ونحن نحاول أن نمنحه ولو قطرة مما يستحق .. ولكنني، رغم ما جمعته خلال هذا التحقيق "الكتاب" من قراءات، وبحث دؤوب، استمر لشهور طويلة فى شتى المجالات، إلا إنني .. لا أود بهذا العمل أن أنصف تلك الجماعات، أو أكون أداة لجلدها. ولكنني فقط أقدم الحقيقة للتاريخ .. حيث إن اللحظة الأولى التى حركت بداخلى القدوم نحو هذا العمل، تلك القصة التى سردتها لى إحدى صديقاتي، والتى تتلخص فى الآتي:

"كان الأب يقوم بتلميع سيارته الجديدة، إذا بالابن ذو الخمس سنوات يلتقط حجرا، ويقوم بعمل خدوش على جانب السيارة. وفي قمة غضبه ، إذا بالأب يأخذ بيد ابنه ويضربه عليها عدة مرات، بدون أن يشعر أنه كان يستخدم "أداة حديدية" مما أدى إلى بتر أصابع الابن في المستشفى. كان الابن يسأل الأب، متى سوف تنمو أصابعي؟ وكان الأب في غاية الألم!! عاد الأب إلى السيارة، وبدأ يركلها عدة مرات. وعندما أجلوسه - بعض أصدقائه - على الأرض محاولين تهدئته، نظر إلى الخدوش التي أحدثها الابن، فوجده قد كتب .." أنا أحبك يا أبي"

فعندما ألقت صديقتي على مسامعي تلك القصة، تأثرت منها كثيرا، وأيقنت أن ردود الأفعال، وتصرفات الآخرين - ولا سيما صغار السن - تختلف من شخص لآخر .. فمنهم من يعبر عن حبه فى البداية بطريقة خطأ .. ولكنه إن لم يجد الترشيد والتحذير والتوجيه، ستتولد بداخله الدوافع النفسية السيئة، والعدوانية تجاه الآخرين..

فالجهاد الإسلامي.. والجهاد الإسلامي المصري.. والجهاد.. وجماعة الجهاد.. وتنظيم الجهاد.. والجماعة الإسلامية.. جميعها أسماء أطلقت على الجماعات الإسلامية، تلك الجماعات الدينية

المسلحة المتشددة، والتي كانت تسعى دائما لإنشاء حكم إسلامي في مصر بالقوة، وتستهدف أي مؤسسة علمانية، وخاصة الحكومات العربية العلمانية.. وكان يتلخص الهدف الأساسي لتلك الجماعات في الإطاحة بالحكومة المصرية، واستبدالها بدولة إسلامية، ومهاجمة المصالح الأميركية، والإسرائيلية، في مصر وخارجها.

وقد برزت هذه الجماعات، وخاصة تنظيم الجهاد، إلى الوجود في السبعينيات -كظاهرة أكثر منها كجماعة منظمة- في السجون، وبعد ذلك في الجامعات المصرية. وإثر إطلاق الرئيس السادات سراح معظم السجناء الإسلاميين بعد عام ١٩٧١، بدأت عدة مجموعات، أو خلايا، من المسلحين ينظمون أنفسهم، وعرفوا بأسماء متعددة مثل "حزب التحرير الإسلامي، وجماعة التكفير والهجرة، والناجون من النار، والجهاد، والجماعة الإسلامية".

وكانت كل خلية تعمل منفصلة، ومستقلة. وذلك الأمر الذي سمح بتكوين تنظيم، ولكنه لم يكن منظما كما ينبغي. ويبدو أنه كان هناك نوع من الاتصال المنظم بين قادة الجماعات المختلفة؛ لكن ليس من الواضح أن هناك توجه عام فعال لكل الجماعات.

وقد أفرزت معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية "كامب ديفيد" في عام ١٩٧٩ شعورًا بغضب أصولي. ومع لهفته الشديدة لتعزيز زخم سياسته السلمية، أصبح السادات أكثر قربا من السياسة الأميركية، مما اعتبره الإسلاميون فشلا داخليا، وخيانة خارجية. كما اعتبروه غير مبالٍ بجيرانه العرب، لصالح التقرب أكثر مع الغرب، وخاصة الولايات المتحدة، إلى جانب إسرائيل.

وكان اغتيال السادات في أكتوبر ١٩٨١ على يد أعضاء من جماعة الجهاد مؤشرا على قدرة المسلحين الإسلاميين على ضرب بناء السلطة المصرية في مقتل. وتميزت السنوات الأولى لحكم الرئيس مبارك بخمود مؤقت للعنف، لكن عادت الجماعات الإسلامية المسلحة إلى تصعيد حملة العنف، وزعزعة استقرار الدولة. ويمكن إسناد بعض أسباب هذا التصعيد إلى الصعوبات الاجتماعية، التي كانت ناجمة عن سياسة التعديل الهيكلي الاقتصادي، والخطوات المتثاقلة لعملية التحول الديمقراطي، مما أفرز إحباطات اجتماعية واقتصادية مزمنة، فتفشت البطالة بين خريجي الجامعات والكليات، وخرج أمراء الجماعة الإسلامية من بين هؤلاء الخريجين "العاطلين".

وكذلك أفرزت المدن الأكثر فقرا في صعيد مصر -

وبالتحديد "أسيوط" - عددا غير متجانس من الأتباع. وظلت الجماعات المسلحة متفرقة وصغيرة، فهي لا تتمتع بدعم شعبي كبير، لأن السخط الاجتماعي لم يترجم دائما إلى عضوية جديدة، فظلت هذه الجماعات صوتا خافتا في المجتمع المصري. وعلى الرغم من أن البعض يتعاطف مع أهدافها، إلا إن الأغلبية لم تتعاطف مع أساليبها الدموية التى تمارسها، والتي لا تفرق بين الأبرياء وغيرهم. وأدى ذلك إلى إعلان الحكومة حربا على هذه الجماعات بكل الوسائل المختلفة، لاستئصالها، مما جعلها تتشتت في الأرض، وتركز على الهجمات المسلحة، التى تستهدف كبار الشخصيات في الحكومة المصرية، وانتشار ظاهرة السيارات المفخخة ضد المرافق الرسمية المصرية والأميركية.

وينسب إلى جماعة الجهاد مسؤوليتها الحدث الأكبر فى تاريخها ألا وهو اغتيال الرئيس "السادات" فى عام ١٩٨١، وكذلك أعلنت الجماعة مسؤوليتها عن محاولتي اغتيال وزير الداخلية الأسبق حسن الألفي في أغسطس ١٩٩٣، ورئيس الوزراء عاطف صدقي في نوفمبر من العام نفسه -كما خرجت مانشتات بعض الصحف- وأيضا حادث نسف السفارة المصرية في إسلام آباد عام ١٩٩٥، والتخطيط لهجوم على

السفارة الأميركية في ألبانيا تم إجهاضه .

والمعروف إن نشاط الجماعة يتركز في مصر،كما إن لها شبكة خارج الأراضي المصرية، موزعة على كل من اليمن وأفغانستان وباكستان والسودان ولبنان والمملكة المتحدة وأماكن أخرى. ويقدر عدد أفراد الجماعة بالآلاف، وما يماثلهم من المتعاطفين معها من الجماعات المختلفة.

وأسجلها للمرة الثانية، ما شرعت فى تناول هذا الكتاب إلا للأسباب التالية، وهى:

أولا: معالجة وتدوين تاريخ هذا التنظيم، بشكل مسلسل، وسلس التداول والقراءة للأجيال الشابة، التى أنتمي إليها، وهذا انطلاقا من قناعتي الشديدة بأن تلك التنظيمات الإسلامية، وإن كانت تلعب على عامل مهم ينتمي إليه معظم المسلمين، وهو الدين، إلا إنهم يطبقون أحكامه وشرائعه بشكل خاطىء.

ثانيا: توضيح الصورة، والماضى لشباب المنتمين للجهاد، لكي يراجعوا أنفسهم، ويفكروا من جديد، هل هم على حق أم الباطل يحاوطهم من كل مكان.

ثالثا: إن تاريخ تلك الجماعات الإسلامية جزء من تاريخنا، ولا يمكن إنكاره سواء كان مشرفا أو غير مشرف

السيد الحراني

كاتب صحفي وإعلامي مصري

الفصل الأول

بذرة تنظيم الجهاد والتنظيمات الإسلامية



"اذا سقطت أسماء، أو ضاعت فى زحام الذاكرة أحداث ... فأرجو أن يغفر لي الموتى، ويسامحني الأحياء"

"محمـــود السعـــدني"

دأب الكثير من الكتاب ووسائل الإعلام على الحديث عن العديد من قادة تيار الجهاد المصري. واستطاع البعض أن يدوِّن تاريخ "الجهاد" الصحيح؛ ولكن البعض الآخر دوَّن وفق معلومات مغلوطة، ولا أساس لها من الصحة، ولم يسلم من ذلك حتى الأجهزة الدولية، المشهورة بقدراتها المعلوماتية الفائقة، مثل المخابرات الأمريكية، ووزارة الخارجية الأمريكية، التي صنفت أيمن الظواهرى عام ١٩٩٨م على إنه زعيم التنظيم، الذي نفذ مذبحة الأقصر ضد عدد من السياح الغربيين، رغم إنه من الثابت يقينا أن الذى نفذ هذه المذبحة هو تنظيم الجماعة الإسلامية، بزعامة كرم زهدي، والثابت يقينا أيضا، إن أيمن الظواهرى كان وقتها زعيما لتنظيم الجهاد المصري.

وإزاء هذا التخبط المعلوماتى، وجدت إنه لزاما عليّ أن أذكر ما أتيح لي من معلومات صحيحة في هذا الصدد، ومحاولة الوقوف على التاريخ الحقيقى لتلك الجماعات، وذلك لتنوير الرأى العام، و تنقية التاريخ من الأوهام والاكاذيب، التى يتم تسويقها على إنها حقائق، وكي يتمكن المحللون السياسيون من

دراسة هذا التيار، وفقا لمعلومات صحيحة وموضوعية، حيث إنها لم تتكون أي جماعة إسلامية في إطار الحركة الإسلامية الحديثة، بعد تأسيس "شباب محمد"، و "القطبيين"، إلا في عام ١٩٦٤، عندما تأسست الخلايا الأولى لتنظيم الجهاد المصري، حيث روّج الكثيرون لفكرة إن تيار الجهاد خرج من عباءة الأخوان المسلمين، على عكس الحقيقة، وشاعت هذه الفكرة على إنها حقيقة ثابتة، ويقينا لا يجوز أن يتطرق لها البحث العلمى الموضوعى بتحقيق، أو نقد، أو تمحيص، لاسيما أن هذه الفكرة تستخدم دائما من أجل التعريض بفكر جماعة الأخوان المسلمين، و أنه السبب فى كل ما يتأتى من قبل أى جماعة إسلامية على الساحة، مما يعظمها ويمجدها ويرضى غرورها، الذى أعتبره غرورا بلا مبرر أو حدود

وإنطلاقا من مبدأ المصارحة، والمكاشفة، والبحث الدقيق، الذى أقوم به فى نشأة الحركات الإسلامية فى مصر، والذى راودتني نفسي أن أبدأ فيه بهذا الكتاب، ليكون تأريخا لهذه الحركات بشكل مختلف نسبيا، لأجل أن ينتفع به شبابنا، ويتجنبوا أخطاء تلك الجماعات، التي أختلف مع الكثير من أفكارهم، ومناهجهم لتطبيق هذه الأفكار؛ ولكنها واقع حدث فى الماضى، ومازالت أشباحا تسكن بيننا الآن لا نستطيع

إنكارها أو قتلها أو دفنها. ولذلك فالأصلح أن نخرجها، ونواجه واقع ما اقترفته يد البعض منا.

وعندما نتكلم عن تلك الجماعات، فسنجد إن جماعة الجهاد كانت أبرزهم. فقد نشأت أول مجموعة جهادية في مصر حوالى عام١٩٦٤ بالقاهرة .. وكان أبرز مؤسسيها ثلاثة، وهم:

- علوى مصطفى.. والذى ينتمي لحي لمصر الجديدة
- وإسماعيل طنطاوى.. والذى ينتمي لحي المنيل
- ونبيل البرعى.. والذى ينتمي لحي المعادى

وكانوا جميعا فى ذلك التوقيت طلبة، لم يتخطوا مرحلة المراهقة، وبالتحديد مرحلة الثانوية العامة، والتى كانوا فيها من المتفوقين دراسيا وذهنيا وثقافيا، وتخطوا تلك المرحلة لتعقبها مرحلة الجامعة، وانتهت أيضا سريعا، وتخرج إسماعيل من كلية الهندسة بجامعة الأزهر، وتخرج علوى من كلية الهندسة، بينما تأخر نبيل البرعى دراسيا، ثم إلتحق بكلية الأداب بجامعة بيروت.

لم يتوقع أحد من أسرهم، أو المحيطين بهم من جيرانهم أو أصدقائهم او مدرسيهم، أن هؤلاء الصبية الصغار سيكونون سببا فى زعزعة الأمن والاستقرار فى مصر والعالم كله خلال

السنوات القادمة، وبالتحديد على مدار أكثر من نصف قرن حتى الآن .. حيث أصبحت هذه المجموعة، فيما بعد، تنظيما يضم عددا كبيرا، استقطبوهم من المجموعات في القاهرة والجيزة والإسكندرية، وربما قليل من المحافظات الأخرى.

ونشأ التنظيم وهم مازالوا جميعا طلبة فى المرحلة الثانوية، ثم اتسع فى الجامعة، واستمر سنوات طويلة، كبر فيها كل صغير. والغريب، بل والعجيب، تلك الأسماء التى جمعها ذلك التنظيم الصغير فى وقتها، والتى أصبحت الآن من الأسماء الأولى المطلوبة فى العالم، خاصة على قوائم المخابرات الامريكية، حيث كان من بين أعضاء هذا التنظيم في نهاية الستينيات كل من "أيمن الظواهرى، ويحيى هاشم، ورفاعى سرور، ومحمد إسماعيل" . كما انضم لهذا التنظيم في نفس الفترة مجموعة الجيزة ، التي كان من أبرز قادتها "مصطفى يسرى، و حسن الهلاوى"، لكن هذه المجموعة سرعان ما انفصلت في أوائل السبعينات عند أول بادرة خلاف مع التنظيم، ولكننا يجب أن نؤرخ هنا ما اجتمع عليه هؤلاء الشباب، وما دعاهم ليأسسوا بذرة الجهاد، الذي كان سببا فى عدم استقرار الأمن فى العالم منذ نشأته، وحتى الآن.

لقد ساهم في تشكيل أفكار واستراتيجية التنظيم ثلاثة

عوامل، لا يمكن تجاهلهم، حيث كان لهم دور فعال ومؤثر وهم :

- العامل الأول: إن كل قادة و أعضاء التنظيم تربوا في مساجد الجمعية الشرعية، و جماعة أنصار السنة المحمدية - وهما جماعتان مازالتا متواجدتين، وهما ذواتا توجه سلفى واضح. كما تأثر جميع أعضاء التنظيم بالشيخ محمد خليل هراس (أحد علماء الأزهر، ورئيس جماعة أنصار السنة في ذلك الوقت من أواخر الستينيات، وحتى منتصف السبعينيات من القرن الماضي) تأثرا كبيرا جدا، حتى إن هناك روايات تدور فى فلك الجماعة، ولكنها لم يتم تأكيدها حتي الآن، وهي إن الشيخ هراس كان على علم بالتنظيم، ويؤيده، ويوجهه شرعيا.

- العامل الثانى: إن فكرة الانقلابات العسكرية كانت رائجة في ذلك الوقت في المنطقة العربية والعالم، وجرى تنفيذها بنجاح كبير في دول عربية وإسلامية كثيرة في ذلك الوقت، ولا أحد ينسى انقلاب وثورة ٢٣ يوليو نفسه، والذى فتح الباب على مصراعيه لتلك الأفكار. كما راجت في ذلك الوقت أيضا فكرة حرب العصابات من أجل التحرر الوطنى، والتى كان قائداها والرمز البارز لها رغم اختلاف ديانتهما "جيفارا" و"كاسترو" وحربهما من أجل تحرير كوبا.

- العامل الثالث: اعتقاد مؤسسي التنظيم أن تنظيم الضباط الأحرار كان تابعا للأخوان المسلمين ثم خانهم، لإن الأخوان لم يحسنوا تربية وتثقيف الضباط على فكر الجماعة، واعتقادهم أن الجماعة أخطأت لأنها لم تستخدم القوة، وتحديدا الانقلاب العسكرى في مواجهة عبدالناصر.

وبالفعل قد كانت الآثار المباشرة لهذه العوامل الثلاثة سريعة، وهي تبنِّي التنظيم للمنهج السلفى في مجالي الاعتقاد والدراسات الشرعية، وتبنيه لمنهج التغيير السياسى والاجتماعى والاقتصادى بالقوة المسلحة.

ولقد اختار التنظيم أسلوب الانقلاب العسكري لتحقيق هذا التغيير، وتبني نهج اختراق الجيش والشرطة والقضاء وباقي المراكز المرموقة فى الدولة، عن طريق الاعتماد على أشخاص، تم تربيتهم مسبقا في التنظيم، ثم دفعهم للالتحاق بالكليات العسكرية وغيرها، التى تحقق لهم أهدافهم التى يسعون إليها.

وقد كان التنظيم يعتمد مناهجا لتعليم الدراسات الشرعية، تقوم على أساس المنهج السلفى. كما ألزم الأعضاء بحضور دروس الشيخ محمد خليل هراس، بمسجد "قولة" بعابدين، وهو المقر العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر .كما تضمنت المناهج الدراسية بجماعة الجهاد الأولى كتابي "فى ظلال

القرآن"، و"معالم في الطريق" لمؤلفهم سيد قطب. فقد كان هو نهجهم، وقد كانت كتابات سيد قطب هى مصدر تعليمهم.

ولكن في مجال التدريبات العسكرية، فإن هذه الجماعة -الجهاد- لم تكن تتبنى سوى التدريبات البدنية الشاقة، بجانب التدرب على الألعاب القتالية، كالمصارعة، والكاراتيه، والقتال بالأسلحة البيضاء والسيوف، لأنهم كانوا يتبنون فكرة التغيير عبر التغلغل في الجيش، واستخدامه للقيام بانقلاب عسكرى، وذلك عبر توجيه الأعضاء ، من طلبة الثانوى، لدخول الكليات العسكرية، وكذا توجيه الأعضاء من طلبة الجامعات للتحويل للكليات العسكرية. وكانوا فى تلك الفترة يستقطبون تلك النوعية من الطلبة، التى تنتمي للطبقات الفقيرة، ويقومون بالإنفاق عليهم، وتوفير كافة مستلزماتهم المعيشية، كنوع من التربية من أجل المستقبل، خاصة أن مؤسسي الجماعة يعرفون قيمة زرع أفكارهم فى الشباب فى مثل هذه الأعمار، وما له عامله المهم والفعال، لأنهم، هم أنفسهم ،كونوا الجماعة وهم فى تلك المرحلة.

وكانوا لهذه الأسباب لا يهتمون بشراء أو تخزين السلاح أو التدرب عليه خارج الجيش، وما كان عكس ذلك، فما هي تصرفات فردية، ترجع لميول مرتكبيها. وعلى الرغم من ذلك إلا إن التنظيم لم يكن يمانع ممارستها.

التجنيد ......

كانت هذه الجماعة تعتمد، في مجال التجنيد، على تجنيد الملتزمين بتعاليم الإسلام، أيا كان انتماؤهم الفكرى، باعتبار أن خلافهم الرئيسي مع غيرهم هو نابع من ميولهم للتغيير، حيث إن إقناع أى ملتزم بهذه الفكرة يحوله لشخص صالح للانضمام لجماعة الجهاد. ولكن كان - بالطبع- لهم بعض الملاحظات، و الخلافات القليلة، والجوهرية، مع كل من الجمعية الشرعية وجماعة أنصار السنة المحمدية في بعض تفصيلات ومسائل في العقيدة، حتى أن "علوى مصطفى" كان قد كتب كتيبا في هذه المسائل.

ولكن ظل هذا هو منهج جماعات الجهاد المصرية في الدعوة والتجنيد حتى الآن، حيث مساجد الجمعية الشرعية، و أنصار السنة، وحلقات الدرس فيهما، هى ملتقى أعضاء الجهاد .كما كانت الميدان الأبرز للدعوة والتجنيد لجماعة الجهاد في ذلك الحين، بسبب انحسار النشاط الإسلامي في ذلك الوقت في هذه المساجد، ومنع الأنشطة الإسلامية في سائر ساحات العمل السياسي الأخرى كالجامعات والنقابات.

وبعد اطلاعي الطويل على المصادر من الكتابات المختلفة

لقادة الجماعة ومؤسسيها، وكتابات تدور حول الجماعة، وجدت أن الكثير منهم -إن لم يكونوا جميعا- ينفون إنهم كانوا من الأخوان المسلمين. ونبيل البرعى نفسه قال مؤكدا عندما سئل:

"لم أكن في يوم من الأيام عضوا في الأخوان المسلمين، كما لم يكن أحد من أسرتى عضوا في الأخوان، كما لم أتعلم على يد أحد من الأخوان، ولكننا شرعنا على عملية إنشاء الجهاد بعد أن رأينا الواقع مخالف لما ينبغى أن يكون عليه الواقع الإسلامى كما درسناه، فقررنا أن نغيره، ووجدنا أن القوة هي الوسيلة الوحيدة الناجحة، كما أن النظام الحاكم يحكم بالقوة والقمع، ويسد أى منفذ للتغيير السلمى، ويستخدم كل إمكانات الدولة لمنع أى تغيير اجتماعى إسلامى سلمى ومتدرج. ووجدنا إن أغلب حكام العالم الإسلامى حصلوا على الحكم بطريقة الانقلاب العسكري، فقلنا نحن أولى باستخدامها، لأننا نعبر عن دين وثقافة الأمة، أما هم فلا يعبرون إلا عن فكر ومصالح الغرب الصليبى، أو الشرق الشيوعى."

ولا ينسي أحد إن الإتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية قائمان - في الفترة التى نتكلم عنها - ويتضح من كلامه إن تنظيم

الجهاد هو منفصل تماما عن جماعة الأخوان المسلمين، ولا يتبعه، ولكن مؤسسية ربما تأثروا بعض الشيء بأهداف الأخوان، وخطواتهم، وهيكلهم التنظيمي، فقرروا إنشاء الجهاد الذى يحمل مبادىء مشابهة، ولكن بآليات تنفيذ مختلفة.

ولكن في نهاية الستينات، كان الجهاد قد حصل على سمعة وشعبية عن طريق أعضائه، والمنضمين إليه. ولكن كل هذا فى الخفاء، ودون أن يعلم أحد بحقيقة أمرهم غير أعضائهم. وانضم إلى أعضاء التنظيم فى ذلك التوقيت "عصام القمرى" الذى وجد فى تنظيم الجهاد ضالته .

الانشقاق الأول وظهور تنظيم "يحيى هاشم" ..

بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ -النكسة- أمام العدو الصهيوني إسرائيل، تم انعقاد المحاكمات لقادة سلاح الطيران المصرى، الذين اعتبروا مسئولين عن الهزيمة. وفي عام ١٩٦٨ جاءت الأحكام مخففة، عكس ما كان ينتظر الشعب المصرى، الذى أطلق حكمة منذ البداية بالإعدام لمن تسببوا فى الهزيمة، وقتل الآلاف من أبناء الشعب المصرى، واحتلال سيناء. ولكن خيب الحكم آمال الجماهير المصرية، فخرجت مظاهرات حاشدة من الطلبة والعمال في القاهرة والإسكندرية، ضد نظام الرئيس جمال عبد الناصر، محتجة على الأحكام والهزيمة معا. وقد سيطرت على الجميع فكرة إن الهزيمة ما كانت لتحدث فى عدم وجود هؤلاء. واستمرت هذه المظاهرات لفترة، وفى هذه الفترة، انتهز يحى هاشم -وكيل النيابة، والذى أصبح أحد الأعضاء البارزين فى تنظيم الجهاد- الفرصة، وحاول أن ينفذ أمرا ،كثيرا ما كان يحلم به وكثيرا ما تاقت إليه نفسه، ألا وهو الالتحام بالجماهير، وقيادتها للإطاحة بعبد الناصر،الذى فقد كثيرا من حب واحترام الجماهير المصرية عقب هذه الأحداث.

فقد كان يحي هاشم يؤمن بأن الانقلاب العسكرى بالطريقة التى يتبناها تنظيم الجهاد، بقيادة إسماعيل طنطاوى هو طريق طويل، وسيستغرق عشرات السنوات، إن لم يكن تنفيذه مستحيلا من الأساس. لذا قرر يحي هاشم - فى خضم ما

يحدث - أن يخرج ما بداخله، وذلك بعدما خطب في الجماهير المحتشدة، والذين تأثروا بخطابه، وحملوه على الأعناق، وطافوا به الشوارع، قبل أن يتم إلقاء القبض عليه. ولكن سرعان ما أطلقوا سراحه، عندما انكشفت لهم شخصيته الحقيقية، وتبين لهم إنه وكيل النائب العام..

ولكن اذا كان البوليس قد تركة لمدى حساسية منصبه، فإن منصبه هذا لم يكن الدرع الأقوى لمواجهة الشرطة، ولم يرهب هذا المنصب القضائي المرموق الجماعة التي ينتمي إليها.

ومن هنا كانت قد بدأت المشاكل والخلافات بين يحيى هاشم، وقيادات جماعة الجهاد، والذى كان أبرزها رفاعى سرور من جهة، ويقابلهم في الجهة الأخرى: إسماعيل طنطاوى، وعلوى مصطفى، وبقية التنظيم، الذين قالوا إن خطأه فادح وعظيم، وأن عمله هذا هدد التنظيم بالانكشاف .ولكن كان رأى يحيى هاشم ومن معه إن خطة التنظيم مستحيلة التحقيق، وأن الوقت مناسب لكشف حقيقة جمال عبد الناصر ونظامه أمام الشعب، خاصة بعد الهزيمة. واقترح أن تخطو الجماعة على أحد أمرين، إما ثورة شعبية، و إما حرب عصابات .

ولكن تخللت المناقشات خلافات عديدة أخرى، أبرزها إن إسماعيل طنطاوى وفريقه يرون حتمية الالتزام بالشكل الظاهري (من لحية للرجال ونقاب للنساء) بينما يرى يحيى هاشم وفريقه -الذى كان قد انجذب الى آرائه، وجرأته- عدم

حتمية ذلك في ظروف عدم قيام الحكم الإسلامى في البلاد، كى تتيسر حركة التنظيم السرية.

ولم تفلح كل محاولات الوفاق بين الفريقين، وانشق يحيى وفريقه عن تنظيم الجهاد، وأسسوا جماعة أخرى ليكون ما سمي بتنظيم أو جماعة يحيى هاشم أول انشقاق يحدث داخل صفوف الجماعة، قبل أن تخرج إلى النور، ويعلم النظام بأمرها.

ولكن عام ١٩٧٥، وعلى إثر قضية الفنية العسكرية، اشتبكت مجموعة يحيى هاشم مع الأمن في الجبل، وتم تصفية يحيى هاشم ومجموعة من القادة، وتم إلقاء القبض على آخرين، وعاشوا داخل ظلمات السجون. وبذلك انتهت جماعة يحيى هاشم، أول جماعة منشقة عن الجهاد ..

ولكن لم يكن يحيى هاشم هو آخر الانشقاقات داخل صفوف الجهاد، بل تعاقبت عدة انشقاقات. فعلى إثر حرب أكتوبر ١٩٧٣، والانتصار الذى حطم أسطورة الجيش الذى لا يقهر وخط بارليف المنيع، تفجرت خلافات أخرى بين أعضاء التنظيم عرفت بخلاف "الإسلام والشهادة". وكان مضمونه يدور بشأن شرعية ضباط الجيش من أعضاء التنظيم، الذين شاركوا في الحرب، خاصة من ماتوا منهم فيها. وكان من ضمن الذين ماتوا شقيق علوى مصطفى نفسه، وخرج علوى

مصطفي بقوله "إن أخي شهيد، وإن الضباط من أعضاء التنظيم الذين ماتوا فى الحرب شهداء، ومثواهم الجنة، وستغفر لهم خطاياهم كما وعد رب العزة" بينما أصر آخرون على إنهم ليسوا شهداء، لأنهم قاتلوا تحت راية الطاغوت السادات "كما كانوا يطلقون على الرئيس المؤمن" ولتحقيق أهدافه.

وحاول إسماعيل طنطاوي التوفيق بين الطرفين دون جدوى. وترتب على هذا الاختلاف، انشقاق علوى مصطفي عن التنظيم، وكان هذا الخلاف الثانى فى صفوف الجماعة داعيا لزعزعة الثقة فى جدية سير الجماعة لدى البعض، ففارق آخرون التنظيم دون أن يعملوا في إطار تنظيمي آخر بعد ذلك.

واستمر التنظيم الأساسي بقيادة إسماعيل طنطاوي، وظل معه كثيرون أشهرهم نبيل البرعى، وعصام القمرى، وأيمن الظواهرى. وكان معهم في ذلك الوقت، أو بعده بقليل ، سيد إمام الشريف "الذى قام بكتابة مراجعات الجهاد فى عام ٢٠٠٧" من داخل المعتقل ..

وكما هو معروف، إن الخلافات تعقبها الانقسامات، وعلى إثر تعدد تلك الخلافات، اقترح حسن الهلاوى -من قادة مجموعة الجيزة- على مصطفى يسرى ، القائد الأرفع منه، أن تستقل المجموعة عن إسماعيل طنطاوى إلى أن تنتهى الخلافات عنده. وبذلك الأسلوب استقلت المجموعة إلى أجل غير مسمى،

وهى التى كانت تتشكل كمجموعة مستقلة من الأساس، من قبل أن تنضم لتنظيم إسماعيل طنطاوى.

ومن هنا بدأ إنشاء تنظيم "صالح سرية" عندما أقام الدكتور صالح سرية في مصر، كموظف بجامعة الدول العربية. وقد حاول إقناع قيادة الأخوان في مصر بتبنى فكرة الانقلاب العسكرى؛ لكن دون جدوى. وأثناء ذلك، تعرف على العديد من الشباب من قادة و أعضاء تنظيمي إسماعيل طنطاوى، ويحيى هاشم، سواء في لقاءات إسلامية ببيت السيدة زينب الغزالى، أو في مساجد الجمعية الشرعية و أنصار السنة المحمدية. ولقد حاول صالح سرية التقارب معهم جميعا، إلا إنه اصطدم بسلفية إسماعيل طنطاوي، حيث كان صالح سرية يرى إرجاء حسم الخلافات في مسائل عقائدية وفقهية، لما بعد إقامة الدول الإسلامية، بعكس إسماعيل طنطاوي، الذى يرى حتمية الالتزام بكل مواقف السلف الصالح من أهل السنة والجماعة، وعدم التعاون مع أى شخص يخالف ذلك. كما استحال التقارب بين صالح سرية ويحيى هاشم، بسبب إصرار صالح على الانقلاب العسكرى، وإصرار الثانى على حرب العصابات.

وهكذا فشل صالح في التوافق مع الجهاد، بعد فشله في التوافق مع الأخوان المسلمين، فكان لزاما عليه أن ينشئ تنظيمه

الخاص ممن تعرف عليهم، سواء عند زينب الغزالى، أو عند إسماعيل، أو يحيى. ثم تحرك بهم، وضم أعضاءً جددا، ومن ضمن من جرى ضمهم مجموعة الجيزة، وصار من أبرز القادة في تنظيمه أحمد صالح الذى ينتمي لمدينة بورسعيد، وكارم الأناضولى، و مصطفى يسرى، وحسن الهلاوى الذين ينتمون لتنظيم الجيزة، وطلال الأنصارى، وخالد المنشاوى، وعلى المغربى الذين ينتمون لمدينة الإسكندرية، ومحمد شاكر الشريف ينتمي لقنا، وغيرهم. مما يدل على إنه استطاع الانتشار فى شتي المحافظات المختلفة والمتنوعة .

وبعد فشل المحاولة الانقلابية التى دبرها التنظيم عبر الكلية الفنية العسكرية عام ١٩٧٤ - والتى سنتحدث عنها باستفاضة فى فصل منفصل من هذا الكتاب- والحكم على صالح وكارم بالإعدام ،وغيرهم بأحكام مختلفة، تم انتخاب المهندس أحمد صالح ، من بين الحائزين لحكم البراءة، أميرا عاما للتنظيم، وتم إعادة تشكيل التنظيم.

وقد تعرض التنظيم لضربة أمنية عام ١٩٧٧، وتمت محاكمة عدد كبير من قادته وأعضائه، فيما عرف إعلاميا باسم "قضية تنظيم الجهاد". وتم الحكم على المهندس أحمد صالح بعشر سنوات سجنا، كما نال الباقون أحكاما مختلفة، وتم انتخاب

الدكتور مصطفى يسرى أميرا عاما للتنظيم، ونشط التنظيم، إلى أن أصدر مصطفى يسرى قرارا بحل التنظيم، إثر إختراقات أمنية للتنظيم ، وضربه أمنيا فيما عرف "بقضية تنظيم الجهاد ١٩٧٩".

وبعد حل التنظيم، شكل كل قائد من قادة المستوى الوسيط بالتنظيم تنظيما مستقلا من المجموعات التي كانت تابعة له قبل الحل. كما حاول بعضهم إعادة ضم كل المجموعات في تنظيم واحد كبير، وذلك كله له قصة كبيرة أخرى، لاسيما أن أحد القيادات الوسيطة هذه هو "محمد عبد السلام فرج" مؤلف كتاب "الفريضة الغائبة"، وقائد التنظيم الذى اغتال رئيس مصر السابق أنور السادات في أكتوبر ١٩٨١ فى الحادث الذى عرف باسم حادث المنصة.



الفصـــل الثانـــي

صالح سرية وعملية الفنية العسكرية ١٩٧٤



"لا أعرف شيئا عن سر الإله ... لكني أعرف أشياءً عن بؤس الإنسان"

"بـــــوذا"

في فجر يوم الخميس الموافق ١٨ـــ٤ـــ١٩٧٤، بينما كان يعد لاجتماع يضم أركان النظام المصري، وعلى رأسهم الرئيس السادات، في قاعة اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، على شاطئ النيل صباحا، لمناقشة خطة العمل التنفيذية لورقة أكتوبر، كان هناك تحرك يبدأ في مكان آخر. معركة شرسة كانت تدور على أبواب الكلية الفنية العسكرية بين فريقين غير متكافئين تماما: ما يقرب من ثمانية عشرة شابا يافعا في مقتبل العمر، مسلحين بمجموعة من السكاكين والمطاوي، وقوات عسكرية مجهزة من حراسة الكلية. ليختلط الحابل بالنابل، ويسقط ثلاثة عشرة قتيلا: ستة من المهاجمين، وسبعة من الحراس، لتنتهي العملية سريعا، ويحاول المهاجمون سحب أنفسهم فى محاولة للفرار.

على الجانب الآخر من سور الكلية، وفى الداخل، تحاول مجموعة أخرى من طلبة الكلية الاستيلاء على مخزن سلاح لواء الحراسة، لكنهم فشلوا في ذلك أمام دفاع سرية الحراسة، فتوجهوا إلى كابينة الإنارة، وعمدوا إلى قطع الكهرباء،

لتدور معركة داخل الكلية، تنتهي سريعا، مخلفة وراءها إحدى عشر قتيلا وسبعة وعشرين مصابا،فبدأت نشأة ما عرف فيما بعد "بتنظيم الفنية العسكرية١٩٧٤".

وقد ترجع أحداث تلك القصة الدموية لهزيمة ١٩٦٧، وما خلفته من جروح وندوب كثيرة، ومن فقدان الأمل بين الشباب، مما دفع بهم إلى البحث عن حل، إما لدى بقايا الحركة الشيوعية، أو لدى ما تبقى من حركة الأخوان المسلمين.

وقد كان التيار الديني بعد النكسة يرجع أسباب الهزيمة إلى البعد عن الله، وفشل الحلول العلمانية والقومية، والاستعانة بقوى الشرك والكفر، طارحا الحل ببساطة في إقامة الدولة الإسلامية، متخذا من منابر المساجد طريقا للدعوة لأفكاره، ومن تجمعات الفرق الصوفية، والجمعيات الشرعية، والقوى السلفية ميدانا خصبا لتجنيد الشباب.

كما نشطت مجموعة لا بأس بها من خطباء التيار السلفي المتشدد، من أمثال الشيخ محمود عيد، وأحمد المحلاوي بالإسكندرية ، والشيخ عبد الحميد كشك بالقاهرة ، والشيخ حافظ سلامة بالسويس، وغيرهم. ليجتمع حولهم آلاف من الشباب المتحمسين، وتبدأ مجموعة معينة من الكتب في التداول بينهم سرا وعلنا، منها كتابات سيد قطب، وابن تيمية، وأبو

الأعلى المودودى، وغيرهم ..

وبدأت في التشكل مجموعات صغيرة، تؤمن بفكر الأخوان المسلمين بقيادة أفراد من الصف الثاني والثالث من الجماعة، حيث كانت قيادات الحركة خلف أسوار السجون منذ عام ١٩٦٥ ،بعد محاكمتهم، وإعدام سيد قطب وآخرين.

تلقت الحركة الإسلامية دفعة كبيرة بعد وفاة جمال عبد الناصر وتولى السادات، ليبدأ عهد جديد في التعامل مع الأخوان المسلمين بالإفراج عنهم، وإعادتهم إلى وظائفهم، وتمكينهم من الخطابة على المنابر. فكان ذلك عاملا حاسما في سرعة نشر الأفكار الدينية في المجتمع عموما، وبين شباب الجامعات على وجه الخصوص. وكان لتوقيت وصول صالح سرية إلى مصر في عام ١٩٧١ أثرا حاسما فى تجنيد وقيادة هؤلاء الشباب، وبلورة فكرة الانقلاب العسكري. فهو، "صالح عبد الله سرية"، أردني من أصل فلسطيني ولد فى حيفا وأكمل دراسته الابتدائية بها، وبعد نكبة ١٩٤٨ هاجر مع أسرته إلى العراق وأكمل دراسته الثانوية هناك، ودخل كلية الشريعة بجامعة بغداد بوساطة مباشرة من مرشد جماعة الأخوان المسلمين في العراق، والتي كان قد انتمى إليها، وكان من العناصر النشطة فيها، وأسس مجموعة فلسطينية بالعراق سماها

"جبهة التحرير الفلسطينية".

واستمر نشاطه متصاعدا حتى قيام ثورة ١٩٥٨ بقيادة عبد الكريم قاسم، وبعد حدوث خلاف بين قاسم والأخوان، لجأ إلى العمل السري، وقام بعدة عمليات ضد اليهود العراقيين، من قتل، واستيلاء على أموال لتمويل مجموعته بالأسلحة. حاول التقرب من عبد السلام عارف بعد انقلابه على قاسم، ثم اعتقل عام ١٩٦٥.

وبعد الإفراج عنه، حصل على الماجستير في الشريعة، وابتعد عن العمل السياسى لفترة. وبعد هزيمة ١٩٦٧ عاد لنشاطه الفدائي، وانضم إلى المجلس الوطني الفلسطيني، وحضر اجتماع المجلس بالقاهرة عام ١٩٦٨.
وبعد أن أتهم بالاشتراك فى محاولة اغتيال أحمد حسن البكر، فر إلى سوريا، فالأردن، وارتبط بحزب التحرير الإسلامى الذى أسسه "تقى الدين النبهانى" عام ١٩٥٠، ثم جاء إلى مصر عام ١٩٧١ ، وحصل على درجة الدكتوراه في التربية من جامعة عين شمس عام ١٩٧٢، وعمل بمنظمة التربية والثقافة والعلوم "الأونيسكو"، بجامعة الدول العربية بالقاهرة.

لم يُضِع صالح سرية، حال وصوله إلى القاهرة، أى وقت. فاتجه مباشرة إلى مترل السيدة زينب الغزالى، والتى كان قد

تعرف عليها فى زيارة سابقة إلى القاهرة عن طريق طليقها الشيخ "حافظ التيجانى"، ونزل ضيفا عليها هو وأسرته المكونة من زوجته وتسعة من الأبناء. ولعبت السيدة زينب الغزالى دورا أساسيا فى تقديمه إلى المرشد العام المستشار "حسن الهضيبى"، وتعريفه بمجموعات الشباب الجديد، ومنهم "طلال الأنصارى" و "إسماعيل طنطاوى" و "يحيى هاشم"، وسرعان ما أدرك صالح سرية أن الأخوان المسلمين فى مصر غير راغبين أو قادرين على المواجهة، وذلك بعد لقائه ببعض قادهم، وعلى رأسهم المرشد العام، وكذلك لقاءاته مع كثير من قياداهم، أمثال الشيخين محمد الغزالى، والسيد سابق.

وكانوا هؤلاء القادة يهمهم فى الأساس الأول بقاء الدعوة واستمرارها، وحماية أعضائها، وهم ليسوا بعيدين من محنة قاسية ألمت بهم فى العام ١٩٦٥، وما زالوا يرممون نتائجها،ويضمدون جراحها. كما وجد قادة المجموعات الشبابية مشتتي الحركة، ومشوشى الرؤية. فمنهم من كان اتجاهه سلفيا مثل "إسماعيل طنطاوى"، ومنهم من يرفض فكرة الانقلاب العسكرى، ويدعو إلى حرب عصابات طويلة الأجل مثل "يحيى هاشم"، وهو وكيل نيابة بدأ نشاطه السياسي عام ١٩٦٨ ، بقيادة مظاهرة من مسجد الحسين بالقاهرة بسبب

هزيمة يونيو ١٩٦٧. وقد شكل يحيى هاشم تنظيما بلغ عدد أفراده حوالي ٣٠٠ فردا معظمهم من الإسكندرية، وحاول بعد فشل عملية الفنية العسكرية، و القبض على أعضائها، القيام بعملية مغامرة لتهريبهم، ولكن خطته انكشفت، فهرب إلى الصعيد، وتمت تصفيته هناك بواسطة قوات الأمن.

توجه سرية مباشرة إلى الشباب المتدين المتحمس، ليكّون منهم تنظيمه. ونجح فى تجنيد العشرات منهم بسرعة فائقة، فقد كان له تأثير قوى على كل من يلتقى به، حيث قال عنه "أيمن الظواهرى" فى كتابه"فرسان تحت راية النبى" : "إن صالح سرية كان محدثًا جذابًا ومثقفًا على درجة عالية من الاطلاع والمعرفة، وكان حاصلًا على درجة الدكتوراه في التربية من جامعة عين شمس ،كما كان متضلعًا في عدد من العلوم الشرعية". وقال إنه التقاه مرة واحدة أثناء أحد المعسكرات الإسلامية في كلية الطب، حين دعاه أحد المشاركين في المعسكر الى إلقاء كلمة في الشباب. "وبمجرد استماعي لكلمة هذا الزائر، أدركت أن لكلامه وقعًا آخر، وأنه يحمل معاني أوسع في وجوب نصرة الإسلام. وقررت أن أسعى للقاء هذا الزائر، ولكن كل محاولاتي للقائه لم تفلح"

كما قال عنه "طلال الأنصارى" فى كتابه "صفحات مجهولة

من تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة":

"كان صالح سرية شخصية كاريزمية، لا يملك من يقابله فكاكا من أن ينبهر به .. خلقه .. شخصيته.. علمه .. قدرته الفائقة على الإقناع بأبسط الطرق وأيسرها، وقدرته على صياغة أعقد القضايا وعرضها فى كلمات بسيطة وموجزة"

ولذلك نجح صالح سرية فى تكوين تنظيم واسع ومتنوع جغرافيا من مجموعة متحمسة من الشباب، قسمهم إلى مجموعات صغيرة، على رأس مجموعة الإسكندرية "كامل عبد القادر "كلية طب، و"طلال الأنصاري " كلية هندسة" .. ومجموعة "بور سعيد" بقيادة أحمد صالح .. ومجموعة "القاهرة والجيزة" وعلى رأسها حسن الهلاوى ومصطفى يسرى .. ومجموعة" قنا" بقيادة محمد شاكر الشريف .. وأبقى مجموعة "الفنية العسكرية" بقيادة كارم الأناضولي وباقي الكليات العسكرية تحت قيادته المباشرة ..

ولكن أمام ضغط الشباب المتحمس المتكرر والمستمر على سرعة التحرك، واستعجال العمل، والإلحاح الدائم، اضطر للتسرع بوضع الخطة الأولى، وهى اغتيال الرئيس السادات مع كبار قياداته بالمطار، عند عودته من زيارة خارجية ليوغوسلافيا. وتم تكليف مجموعة القاهرة والجيزة بقيادة

"حسن الهلاوى" برسم خريطة تفصيلية للمطار. ولكن لعدم قيام المجموعة بما كلفت به، تم إلغاء الخطة .. ثم تم تكليف مجموعة الإسكندرية بإعداد رسم كروكى عن مكانين محتملين للهجوم ، الأول مجلس الشعب، والثانى مبنى الاتحاد الاشتراكى على "كورنيش النيل". وقد حضرت مجموعة من ستة أفراد من الأسكندرية، وكان من بينهم محمد على خليفة، وهانى الفرانونى، وأنجزوا المطلوب. وتم وضع الخطة البديلة بواسطة صالح سرية، وكارم الأناضولي. وتعتمد على الاستيلاء على "كلية الفنية العسكرية"، بعد مهاجمة حرس بوابة الكلية في صمت، لإدخال عدد كبير من الشباب الى الكلية، ثم بعد ذلك الاستيلاء على الأسلحة، والسيارات، والمدرعات من الكلية الفنية العسكرية، بمساعدة أخوانهم الطلبة داخل الكلية، مستغلين صلاحياتهم كقادة مناوبين أثناء الليل، ثم التوجه بما حصلوا عليه الى مقر الاتحاد الاشتراكي، لمهاجمة السادات وأركان حكمه، أثناء اجتماعهم.

كبروفة للأحداث، طلب صالح سرية من مجموعة الأسكندرية الحضور الى القاهرة، والتوجه إلى موقع العملية قبل بدء التحرك بيوم واحد. وبعد حضورهم، طلب منهم العودة والحضور في اليوم التالي، وأعد صالح سرية بيان الانقلاب بخط

يده، وكان يدعو فيه إلى قيام نظام جديد فى مصر، يهدف القضاء على الفساد، ويدعم الإيمان والأخلاق والفضيلة، ويضمن الحريات. وتم تذييل البيان بتوقيع "الدكتور صالح سرية رئيس الجمهورية"..

ومع بداية التحرك، تسلل اثنان من التنظيم، أحدهما توجه إلى وزارة الداخلية، والثاني إلى رئاسة الجمهورية، وقاما بالإبلاغ عن الخطة. وبعد مرور وقت طويل من عدم التصديق، والتحقيق معهم خشية أن تكون هذه خطة تضليل للجماعات الإسلامية، لتقوم بأهداف أخرى. وعلى إثر ذلك توجهت قوة صغيرة من الأمن المركزي إلى كلية الفنية العسكرية، لتتأكد من صدق رواية المبلغين، وليتم إجهاض الهجوم في بدايته، ويتم القبض على قياداته، وعلى رأسهم صالح سرية الفلسطيني.

وأجريت لهم محاكمة سريعة، حاولت السلطات الأمنية إثبات تورط النظام الليبي في العملية، وحاولت النيابة أن تزج باسم "حسين الشافعي" نائب رئيس الجمهورية فيها، ولكن ربط الحركة بأى قوى خارجية أو داخلية باء بالفشل، وصدر الحكم بإعدام صالح سرية، وكارم الأناضولي، وطلال الأنصاري، وبأحكام بالسجن على عشرات منهم.

وقد قرر السادات تخفيف الحكم الصادر على طلال

بالإعدام إلى المؤبد، نتيجة وساطة والده الشاعر السكندري عبد المنعم الأنصاري، وطويت صفحة من تاريخ أول تنظيم إسلامى جهادي انقلابي في مصر. مع إنتهاء العملية بالفشل، واعدام القيادات، حاول أحد قيادات التنظيم "أحمد صالح"، والذى حكم له بالبراءة، إعادة تجميع من تبقى، والاستمرار فى الحركة؛ ولكن تم القبض على معظم من تبقى منهم عام ١٩٧٧، فيما عرف بتنظيم الجهاد. ليعود مرة أخرى "د. مصطفى يسرى" لمحاولة الاستمرار بالباقين منهم، واعتمد التنظيم فى أدبياته الرئيسة على أفكار صالح سرية مؤسس التنظيم وفيلسوفه، والذى خلف مجموعة من الكتابات أهمها "رسالة الإيمان" التى أعاد طباعتها عدة مرات اتحاد طلاب مصر فى نهاية السبعينيات، ومن أهم الأفكار الواردة فى هذه الوثيقة:

"الجهاد هو الطريق لإقامة الدول الإسلامية

ولا يجوز موالاة الكفار والأنظمة الكافرة، ومن فعل ذلك فهو كافر.

ومن مات دفاعًا عن حكومة كافرة، ضد من قاموا لإقامة الدولة الإسلامية، فهو كافر، إلا إذا كان مكرهًا، فإنه يبعث على نيته.

ومن اشترك في حزب عقائدي غير إسلامي فهو

كافر، كذلك من اشترك في جمعية عالمية، كالماسونية أو اعتنق فلسفة مخالفة، كالوجودية أو البرجماتية كافر ..

الحكم بتكفير الحكام، وجاهلية المجتمع، واعتباره دار حرب. وجواز العمل الحزبي الإسلامي، والمساهمة من خلاله في الانتخابات، ودخول البرلمان، والمشاركة في الوزارات، إذا كان صريحًا بأنه يسعى عن هذا الطريق للوصول إلى السلطة، وتحويل الدولة إلى دولة إسلامية..

ويجوز للمسلم أن يدخل في مختلف اختصاصات الدولة بأمر من الجماعة الإسلامية، ويستغل منصبه لمساعدة الجماعة للحصول على السلطة، أو التخفيف عنها في حالة المحنة، أو إفادتها بأي طريق، ولا مانع أن يصبح وزيرًا حتى مع حاكم طاغية إذا كان بهذه النية ..

وكل من ينفذ أوامر الدولة الكافرة ضد الإسلام والحركة الإسلامية فهو كافر.

وفي حالة وجود مرشح إسلامي، وأمامه مرشح اشتراكي أو قومي أو شيوعي، وانتخب الفرد غير الإسلامي فإنه يكون كافرًا بهذا الموقف ..

والذين يحاربون دعاة الإسلام، لأنهم يمزجون الدين

بالسياسة كفار، لأنهم قصروا الإسلام على جانب وكفروا بالجوانب الأخرى ..

والمعارضون لأحكام الإسلام، الذين يتهمون الدين بالتخلف والرجعية كفار .كذلك الذين يعترضون على حكم من أحكام الله، ولا يرضون عنها مثل الذين يعترضون على الإسلام، ويتهمونه بالتخلف فإن هؤلاء غير راضين عن الإسلام أصلًا ..

والتفريق بين الامتناع الجماعي والامتناع الفردي، بمعنى أن الترك الجماعي لأي ركن من أركان الإسلام كفر ..

وكل القوانين المخالفة للإسلام في الدولة هي قوانين كفر، وكل من أعدها أو ساهم في إعدادها أو جعلها تشريعات ملزمة فهو كافر ،كذلك من طبقها دون اعتراض عليها، أو إنكار لها ..

وتحية العلم والجندي المجهول والسلام الجمهوري من طقوس الجاهلية، وهي صورة من صور الشرك"

ولكن رغم سقوط المخططين لعملية الفنية العسكرية، إلا أن هناك جوانب كثيرة لم يتم إلقاء الضوء عليها. ومنها: كيف عرفت الجهات الأمنية باقى التنظيمات الإسلامية الموجودة بالخارج، وكيف جرت محاكمتهم.. وهى التى توضحها

السطور القادمة ...

ففى عام ١٩٧٥، واثناء التحقيق مع المتهمين على ذمة قضية الفنية العسكرية، أرسل أحد المتهمين فى القضية رسالة إلى زوجته، يطلب منها أن تبلغ سلامه إلى "ى،ر،م". فتم ضبط الرسالة، وبالضغط على الزوجة، أفادت بأن "ى" هو يحيى هاشم، الذى كان مازال موجودا، لم يتم تصفيته بعد، وأن " ر" هو رفاعى سرور، وأن "م" هو محمد حجازى. وانكشف التنظيم بسبب ورقة السلام، بالرغم من سريته الشديدة، حتى إن مذكرة الدفاع التى قدمها محامى المتهمين" فايز عبد المعز حبيب" فى قضية الفنية العسكرية، كان قد شارك فى إعدادها يحيى هاشم، دون أن يعرف أحد كما سبق القول ..

ونظرت المحكمة قضية الفنية العسكرية رقم ٢٦٨٧ لسنة ١٩٧٤ الوايلي ورقم ١٦٩ لسنة ٧٤ كلي، وانعقدت الجلسة العلنية في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٧٤ ، وكانت الدائرة الجنائية قد انعقدت برئاسة المستشار برهان الدين العبد، وبعضوية السيدين عبد اللطيف المراغي، ومحمد وجدي عبد الصمد، المستشارين بمحكمة استئناف القاهرة، وتمثلت النيابة بكل من "مصطفى طاهر" رئيس النيابة، و "عدلي حسين وماهر الجندى وصهيب حافظ" وهما بدرجة وكلاء نيابة، ولقد أصبحت هذه الأسماء

بعد ذلك من الأسماء البارزة في السلكين القضائي والسياسي ..

وبالتحديد فى جلسة ١٤ــ ١٢ــ١٩٧٤، قال صالح سرية، المتهم الأول، للقاضى:

"يجب أن تسمح لى بالكلام، وعندى سبع طلبات محددة، فلماذا تمنعنى من الكلام"

وهنا أجابه رئيس المحكمة بلهجة غير متعاطفة قائلًا "ماذا تريد ؟"

وهنا بدأت أول مرافعة مختصرة ،حسب وصف أعضاء الجماعة، فقال:

"أولًا .. أرجو اعتبار التحقيقات التى أجريت معى باطلة، ثانيًا .. أسرتى حتى الآن لا أعرف عنها شيئًا و لم أر أولادى وهم عددهم تسعة، وأطلب أن أعلم أى شئ عنهم، وإن لم تمكنونى فقد عوضنى الله بتسعين غيرهم -ويقصد هنا من معه من المتهمين- ، ثالثًا .. لا يوجد عندى ملابس للشتاء ولى فلوس عندكم، وقد طلبت جزء منها -مائة جنيه- لكى أشترى ملابس وصابون ورفض طلبى، وبالرغم من أن أخى محامٍ، فقد قدم طلبًا ليحضر إلى مصر، ومنع من الحضور. وقضيتنا إسلامية، والمسئول عنها هو شيخ الأزهر، وأرجو إحضاره

لمعرفة حكم الإسلام فى هذه القضية. والأوراق التى أمامنا تقول إن الأمن المركزى هو الذى قضى على هذه الحركة، فأين هم هؤلاء الرجال؟ وأنا محروم من الورقة والقلم، وأريد أن أكتب، وأنا أطالب بهذا الحق منذ أربعة شهور"

كانت هذه العبارات، التى قالها صالح سرية، جزء من التحقيقات والمحامات التى لم يطلع عليها الكثيرون، سواء كانوا من المنتمين للتنظيمات الإسلامية، أو المهتمين بشئون تلك التنظيمات. ولكن هناك جانبا آخر من التحقيقات ردده المؤرخون لهذه المحاكمة بشكل سطحي، وهو مدى العلاقة التى كانت تربط صالح سرية بالشيخة زينب الغزالى، شقيقة الإمام الغزالى، وأحد قيادات جماعات الأخوان المسلمين من النساء- أو "الأخوات" كما يلقبونهن- وهى التى ستحملها السطور التالية من داخل أوراق التحقيقات، فكان ورود اسمها فى تلك التحقيقات محورا مهما وفعالا، خاصة فى تلك الفترة من تاريخ مصر، وتاريخ الحركات والتنظيمات الإسلامية، التى كانت تحجم دور المرأة، وتلزمها ارتداء النقاب، وتجبرها على التزام المترل، وعدم مغادرته.

ويبدو أن زينب الغزالي كانت إحدى شواذ قاعدة الجماعات الإسلامية فى تلك الفترة، فكانت قيادية بارزة داخل

صفوف جماعة الأخوان المسلمين .. يداوم على متابعة وحضور جلساتها كبار علماء الفقه والحديث، وكبار قادة التنظيمات الإسلامية. ويبدو أن هذا ما لاحظه صالح سرية، وجذبه إلى مداومة التردد عليها. ويبدو أيضا أنه تأكد أن علاقاتها المتنوعة والمتعددة ستكون عواملًا مهمة وسريعة فى إنجاز ما يفكر فيه، ويخطط له.. حتى لو استخدمها دون أن يعلمها بما يخطط له.

علاقة صالح بزينب الغزالي فى جانب من التحقيق معها ....

في اعترافات صالح سرية المطولة، والتي تجاوزت الثلاثمائة صفحة، تناولت في جانب منها بالتفصيل علاقته بالحاجة "زينب الغزالي"، باعتبارها إحدى قيادات جماعة الأخوان المسلمين، والتي آوته وأسرته لفترة زمنية ليست بالطويلة، وأوصلته إلى المرشد الأسبق "حسن الهضيبي"، ليتحدث معه في شأن استخدام القوة، لإقامة دولة الإسلام في مصر. وتم استدعاء الحاجة زينب الغزالي، لأخذ شهادتها، والاستماع إلى أقوالها، في مقر نيابة أمن الدولة يوم ١٩٧٤/٤/٣٠. وتم استجوابها فيما تضمنته أقوال المتهم صالح سرية بشأنها، وكان نص التحقيق معها:

"س/ ما صلتك بالمتهم صالح عبد الله سرية ؟

ج/ أنا خرجت من السجن بعد تنفيذ العقوبة في قضية الأخوان عام ١٩٦٥، وزارني فضيلة الشيخ الحافظ التيجاني، ومعه عشرة من الأبناء يهنئوني بالإفراج، الذي تم في حوالي أغسطس ١٩٧١ ، ودعاني "التيجاني" لتناول الغداء عنده، وقد كان زوجي سابقًا قبل المرحوم محمد سالم سالم، ولبيت الدعوة

ورحت تناولت عنده الغداء، وكان معنا وزير سوداني لا أذكر اسمه، دعي ليكون معنا في الوليمة، وكان فيه ناس آخرين من السودان. وبعد الغداء، وقرب المغرب استأذنا في الانصراف، وكان معي شقيقي الشيخ محمد الغزالي، فاحتجزنا فضيلة الشيخ الحافظ، لتناول قهوة مرة أخرى، واستأذنا ليذهب إلى الزاوية في نفس المكان. ولما عاد قال: "يا أستاذة زينب في أستاذ من علماء الحديث، ويحب أن يراك" فوافقت، فدخل صالح سرية، وقدمه لنا الشيخ الحافظ بقوله: "الدكتور صالح سرية من أفاضل علماء الحديث". وجلسنا حوالي نصف ساعة، واستأذنا. ونحن خارجون، الشيخ حافظ - أو أحد أبنائه- قال لي:" الدكتور صالح ساكن في مصر الجديدة، يقدر يركب معك؟" فقلت له: "يتفضل".

وكنت أنا وشقيقي الشيخ الغزالي، وركب معنا اثنين صالح، وواحد ثاني لا أعرفه، من اللذين كانوا حاضري الوليمة. ولما اقترب التاكسي من مصر الجديدة، سألت صالح: "أنت بيتك فين بالضبط؟" فقال إنه في شارع الأهرام، فقلت للسائق" أدخل من شارع الأهرام"، ونزل بعد ما طلب مني كارت بعنوان منزلي للتعارف، وأعطيته الكارت بالفعل.

وبعد مدة لا أذكرها، اتصل بي تليفونيًا بمنزلي، وقال:" أنا

صالح اللي التقيت بك في مترل الشيخ الحافظ"، وطلب ييجي يزورني وجه بعدها بمدة لا أذكرها، وقعد يتكلم في علم الحديث، وقعد يطلع على مكتبتي، وعرفني بأنه من الأخوان المسلمين في العراق، وإنه كان مسجون برضه. واحنا كنا معجبين بك، وكنا مفتخرين بك، وطلب إن زوجته تيجي تزورني، واستعار كتاب من كتب الحديث من مكتبتي وانصرف.

وبعد كده جه هو وزوجته وأولاده، واتغدوا عندي، ومقدرش أحددد تواريخ لأن الكلام ده من سنتين ونصف تقريبًا، وانصرفوا بعد تناول الطعام، وبعد كده بدأ يزورنا باستمرار. وفي إحدى هذه الزيارات أبدى عن رغبته في زيارة المرحوم حسن الهضيبي، وطلب مني تحديد موعد معه، فقابلت الوالد العزيز المرحوم حسن الهضيبي، وقلت له يا سيدي الوالد، هنا رجل من العراق فلسطيني الأصل، يرجو لقاءك وهو من الأخوان المسلمين في العراق، فأذن المرحوم ..

وفعلًا حدد له موعدًا، تصادف أنه وافق أحد الأيام التي أتناول فيها الطعام بمترل الوالد العزيز حسن الهضيبي، فحضر صالح سرية، وقابله. وبالرغم من وجودي في المترل، لم ألقاه – وهكذا عادة الهضيبي من يوم ما عرفته رحمه الله، لا ألقى معه

أحد- وبعد انصراف صالح، لم يخبرني المرحوم الهضيبي في أمر ما دار بينه وبين صالح من حديث، ونحن من جانبنا -كأخوان مسلمين- اعتدنا على ألا نسأله عن أمر هو لم يكلمنا فيه.

وبعد ذلك بمدة لا أذكرها، زاراني صالح بمترلي، واشتكى لي بأنه صعبان عليه من المرشد، لأن صالح كان مفصولًا من جماعة الأخوان في العراق، وطلب من المرشد حسن الهضيبي أن يفصل بينه وبين من فصلوه، وإنه كذلك ليس في وضع يسمح له بالوقوف على وجهة نظر من فصلوه. وصالح كان بيهدف إلى أن المرشد يصدر قرارًا بأنه ليس مفصولًا ، وأردف إلى هذا أنه يريد إقناعي بقضيته في العراق، لعلي أستطيع -بمترلتي عند الهضيبي- أن اقنعه بسلامة موقف صالح مع الأخوان في العراق. فقلت له سيب الموضوع لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا.

وصار بعد ذلك يزورنا، ويزور الهضيبي، وحكيت أنا للهضيبي ما وقع من صالح لي، فقال لي بإشارة - وهو قليل الكلام- فهمت منها أنه غير واثق من كلام صالح عن موضوع الخلاف بينه وبين أخوان العراق. فأنا قلت للهضيبي:" بس هو بيزورك ويزورنا" فقال:" نحن لا نغلق أبوابنا في وجه طارق" وبعد ذلك أخبرني صالح في إحدى زياراته، بأن الشيخ طه الساكت - أحد علماء الأزهر- ممن يزورني، فقلت له" ده

استاذي".. أني أريد أن يقضي معي يومًا كاملًا ويتناول معي الغذاء. وبعد يومين أو ثلاثة - لا أدري- اتصل بي صالح تليفونيًا، وقال لي إنه في طريقه لزيارتي ومعه الشيخ طه الساكت. وفعلًا حضرا في الصباح، وأبدى الشيخ اعتذاره عن تناول الغذاء، وقرر إنه سوف يصلي بنا الظهر جماعة، ثم ينصرف. وفرح صالح بقول هذا الدكتور: :صالح كالكبريت الأحمر النادر بالنسبة للعلم الحديث، فوالله يا زينب لقد أوكل إلينا مراجعة كتاب الجامع الكبير للسيوطي - على ما أذكر- فتعثرنا في مراجعته، فاستعنا بفضيلة الشيخ الحافظ كعالم من أعلام الحديث، فتعثرنا، فأهدانا الله وهدانا إلى صالح سرية، فهو الآن يصحح معنا الجامع الكبير لأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، ومجمع البحوث الإسلامية .. من مراجعته معنا، فزاد هذا الأمر احترامي لصالح باعتباره من علماء الحديث، حسبما أفهمني به أستاذي الشيخ طه الساكت، وبعد ذلك - ولم أكن أدري - الذي فوجئت به منه في شهر أبريل الحالي من قراءاتي للصحف، وما حدث بتنفيذه في الكلية الفنية العسكرية، هذا الأمر الذي لا يقره إنسان، ولا يقره الإسلام، وأنا شخصيًا بصفتي الإسلامية أستنكر ذلك الأمر، وأحكم على مرتكبيه بأنهم ضد الإسلام.

وبعد ذلك أخبرني صالح أنه تعاقد لتدريس علم الحديث في كلية الشريعة بالرياض، وبهذه المناسبة قال لي إن في واحد سعودي عاوز يشوفني، وهو الشيخ عبد الله عجلان، فقلت له يدعوه لتناول الشاي معي، وحضر فعلًا، وبعد ذلك أبلغني صالح أن الشيخ عبد الله التركي، وهو سعودي الجنسية، وعميد كلية الشريعة بالرياض، يطلب لقائي. وأعطائي رقم تليفونه، فتحدثت إليه، ودعوته للغذاء أو العشاء معي. ودعوت كذلك الشيخ عبد الله عجلان للعشاء، وكانوا جميعًا يبدون إعجابهم بتبحر صالح في علم الحديث مع صغر سنه.

كل ذلك حدث خلال الستة أشهر التالية لخروجي من السجن، بالإضافة إلى أن صالح، عندما تعاقد مع السعودية لتدريس علم الحديث بجامعة الرياض، كان بيسكن هو في بيت مفروش، وأنا بيتي بجانب المطار فجاء بزوجته وأولاده يقيمون عندي عدة ساعات، حتى يذهبوا للمطار للضرب بالطائرة. وذهب هو إلى مكتب الطيران السعودي ليحضر التذاكر، ولما عاد قال إنه أبرق لصديق له في السعودية ليرسل له التذاكر اللازمة لبقية أفراد أسرته، وفعلًا جت له التذاكر المطلوبة، وكل ذلك وزوجته وأولاده وهو عندي في البيت، وقضوا عندي ليلتين. وبعد ذلك يوم السفر، وكان ودى فعلًا بعض الشنط

للمطار ، وراجع ياخد الشنط الباقين، فقال لنا إنه منع من السفر.

وبنفس اليوم نزل هو وغاب شوية، ورجع قال إنه أخد بيت مفروش في الدقي، وأخد زوجته وأولاده في نفس اليوم، وراح بيته. وبعد عشرة أيام جه زارني، وقال إن الشيخ عبد الله التركي والشيخ عبد الله عجلان سيحلان له مشكلة منعه من السفر، لأنهم لن يجدوا مثله لتدريس علم الحديث. وبعد حوالي أسبوع زارنا مرة أخرى، وقال إنه عين في الجامعة، و لم يطرق حديث السعودية مرة أخرى

وأود أن أذكر أنني أقرضت صالح مبلغ مائه جنيه إثر منعه من السفر للسعودية، لأنه لم يكن معه نقود على الإطلاق، ورد لي منه مبلغ ٦٠ أو ٧٠ جنيه على ثلاث دفعات، كما أنني أعطيت أولاده قماشًا من منزلي، لأنهم كانوا عرايا. وبعد ما التحق بالجامعة العربية، وأخد شقة في الدقي وزرته فيها، وكانت الزيارة الأولى في شقة سابقة له بمدينة المهندسين، قبل تعاقده مع السعودية، أما الزيارة الثانية فكانت في عيد الفطر الماضي، وكان صالح في سوريا كمندوب للجامعة العربية. وكلمني طفل من أولاده تلفونيًا، وقال ماما عاوزة قزازتين زيت وسكر لأن بابا مش موجود، فزرتهم وأخذت لهم فراخ

وسمك، وقلت لهم الزيت مش موجود اشووا السمك، واعطيتهم عشرة جنيهات عيديه للأولاد، ولم أزرهم في بيتهم بعد ذلك.

ولكن استمرت زياراته لي في منزلي في مواعيد مختلفة، وكان أحيانًا يحضر كل شهر أو ١٥ يوم، مع تحديد موعد وكان يقول لي مرة إنه مشغول بإعداد كتاب عن فلسطين، أو بإلقاء محاضرات في معهد الدراسات الإسلامية، أو بتصحيح كتاب الشيخ عبد الحليم محمود. ومرارًا يقول لي إنه كان مشغول مع الشيخ أبو زهرة، بيتناقشوا في علم الحديث، أو مع الطحاوي، أو الشيخ وكان دايمًا يقول لي أسماء كبيرة من أئمة الحديث. وأود أن أشير أنه تحدث عن شخص كجيفارا متمثلًا به، باعتباره إنسانًا قد نجح فيما قام به من ثورة في بلده: وكان هذا في مجمل حديثه عن نسق الأخوان المسلمين في مصر والعالم كله. وكنت أنا باستنكر أن يشبه الحركة الإسلامية كحركة جيفارا.

وقد كان اللقاء الأخير قبل ما نفاجأ بأحداث الكلية الفنية العسكرية المشينة المحرجة بأربعة أيام. وأحب أن أرويه نصًا وتفصيلًا وبدقة. وقد كنت في منزلي قرب المغرب، وحضر لي خادمي وقال لي، رجل بره اسمه صالح وكان الخادم ده بيشتغل

عندي لليوم الثاني، ولا يعرف صالح .كما أخبرتني بنت شقيقي المقيمة معي، وقالت إن الدكتور صالح وصل، وقلت لهما إنه يقعد في الفرانده لغاية ما آجي له، وبعد برهه تقابلت معه، وكان وحده، وسألني متى تتزوج بنت أخي الشيخ محمد الغزالي الجبيلي، لأني أريد أن أوصلها بسيارتي إلى بيت العريس، فأخبرته بأن الزفاف يوم الخميس ١٨/أبريل، فقال لي أنا كان نفسي أحضر هذا الزفاف، لكن فيه أخ حيكتب كتابه بعد العشاء يوم الخميس في مسجد الجمعية الشرعية، وأمه مكانتش راضية عن زواجه بزوجته، لأنها أبنة عامل، فأنا اقنعته بأن يرضي أمه ويقنعها، فوافقت على الزواج. وصالح لم يذكر اسم هذا الأخ، وعقب ذلك انصرف، وحتى مشربش الشاي، وقال إنه على موعد مع شخص عراقي – اسمه الحاج محسن- يصلوا المغرب في جامع عمر مكرم.

وكان هذا هو تفصيل اللقاء الأخير بيني وبين صالح عبد الله سرية، ثم فوجئت بتلك الأحداث الدامية. كما إننا أثناء لقاءانا كان ساعات بيتكلم عن اعتراضه على خمول حركة الأخوان المسلمين في العالم، كما كان يتكلم عن رغبته في تأليف كتاب عبارة عن فهرس للأحاديث النبوية، كما كان يحكي عن تاريخه، وكيف أخرج من فلسطين، وكيف قتل أبوه، وعن أمه

المقيمة في سورية.. وأهم حاجة كان مجنون بها هي خروج الأخوان من السلبية، أي يعيب في الأخوان السلبية التي تطغي عليهم. وفهمت من هذا الكلام إنه كان عاوز يعمل تجمع، بينما كنت أعارضة وأقول له: "لو بقى الأخوان المسلمون نائمين لا يتنفسون عشرين أو ثلاثين عامًا، فيكفيهم أنهم أدوا رسالتهم" .

جدول يحتوى على أسماء وبيانات المتهمين فى قضية الفنية العسكرية

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
١	صالح عبد الله سرية	٣٧ سنه	موظف بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالجامعة العربية ومقيم برقم ٨ بشارع عرفات بالدقي
٢	طلال محمد عبد المنعم الأنصاري	٢٢ سنه	طالب بهندسة اسكندرية ومقيم رقم ٦ شارع الجلال رومي بالإبراهيمية
٣	كامل محمد عبد القادر	٢٥ سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم برقم ٩ شارع البلبيس بكيلوباترا إسكندرية

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٤	حسن محمد هلاوي	٢٢ سنة	طالب بمعهد الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر ومقيم برقم ١٢ فوتزيد قسم الهرم
٥	كارم عزت حسن عبد المجيد الأناضولي	٢٢ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم برقم ٤٤ شارع علي شعراوي حدائق القبة
٦	سعد محمد عبد المنعم دربالة	٢٣ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم برقم ٢ حارة أنور شارع البحر الأعظم بالجيزة

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٧	محمود محمود مرسي العمراوي	٢٤ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم بعزبة الغمراوي شارع أبو قير إسكندرية
٨	أحمد صالح عامر	٢٣ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم بمنزل رجب بجوار شرطة النجدة بدمياط
٩	حسين حسن سليم غنيم	٢٣ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم برقم ٣ شارع فخر الدين بقليوب البلد
١٠	محمد شاكر محمد سليمان الشريف	٢٣ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم بفرشوط

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
١١	محمود أحمد محمود عبد العال	٢١ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم برقم ٣ شارع أبن دينار محرم بك إسكندرية
١٢	أحمد مجدي محمد إسماعيل	٢٣ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم بنجيبه بلبيس شرقية
١٣	مجدي محمد سليم	٢٢ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم برقم ٩ حارة أندراوس حنا من شارع البعثة روض الفرج
١٤	محمود خلاف محمد أحمد	٢٢ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم برقم ٦٠ سيد درويش قسم المنتزه

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
١٥	كرم محمد محمد عيسى	٢٢ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم شارع حفني خلف رعاية الطفل المنتزه
١٦	حسين محمد حافظ	٢٠ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم برقم ٥ شارع الأشراف بالسيدة نفيسة
١٧	يحيى عبد العليم يحيى إسماعيل	٢٠ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم برقم ٤ عطفه المقدس بالجعجعي مصر القديمة

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
١٨	محمود محمد أبو زيد	٢٥ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم بشارع محمد أبو زيد أرض البصرى المعادي
١٩	محمود دياب أبو زيد	١٩ سنة	طالب بكلية الفنية العسكرية ومقيم أمام المترل ٢٣ شارع البوسته القديمة بالحضره البحرية باب شرقي إسكندرية
٢٠	محمد الصاوي محمد علي	١٩ سنة	طالب بالكلية الفنية العسكرية ومقيم ١٥ شارع الدكتور تنواتي قسم الرمل إسكندرية

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٢١	محمد إبراهيم زيتون	٢٢ سنة	طالب بزراعة إسكندرية ومقيم برقم ٢١٥ شارع عمر لطفي سيدي جابر إسكندرية
٢٢	محمد السيد حسين سليم	٢١ سنة	طالب بهندسة إسكندرية ومقيم برقم ٥ شارع كرم بشرتي بالرمل إسكندرية
٢٣	محمد محمود عشره	٢٠ سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم برقم ٥ شارع ميزين قسم الرمل إسكندرية
٢٤	هاني عبد المقصود السيد الفرنواني	٢٠ سنة	طالب بهندسة إسكندرية ومقيم برقم ٥٧ شارع بني نوفل سيدي جابر إسكندرية

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٢٥	حسن عبد الله السحيمي	٢٢ سنة	طالب بزراعة إسكندرية ومقيم بشارع أبن تونس بغبريال إسكندرية
٢٦	مصطفى يحيى محمد	٢٢ سنة	طالب بالمعهد العالي للقطن ومقيم ١٢ شارع أبن الخويمي بالحضره باب شرقي
٢٧	عبد الحليم السيد عبد الحليم	٢١ سنة	طالب بهندسة إسكندرية ومقيم ٣٢ شارع كرموز — إسكندرية
٢٨	محمد محمد محمد حسن الجندي	٢٥ سنة	محصل بترام إسكندرية ومقيم ٢٣ شارع القرنفل غيط العنب كرموز إسكنرية

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٢٩	أحمد إبراهيم جمال الدين	٢١ سنة	طالب بهندسة إسكندرية ومقيم ٣٨٢ طريق الحرية سيدي جابر – إسكندرية
٣٠	محمد محمد محمد أبو العينين	٣٧ سنة	مساعد بحري بالوحدة ٧٦٠٣ج ٣٧ ومقيم ١٦ شارع بالي شوتس بالرمل
٣١	أحمد مجلي أحمد عشري	٣٠ سنة	محصل بترام إسكندرية ومقيم ١٠ شارع قراقوش قسم كرموز – إسكندرية
٣٢	جلال شفيق علي صقر	٢٦ سنة	رقيب متطوع بالقوات البحرية الوحدة ٧٦٠٢ج٣٧ مقيم بملك شهاب

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٣٣	محمود فراج عبد الحافظ	٢٢ سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم برقم ١٤ شارع المماليك كرموز إسكندرية
٣٤	مصطفى أحمد حسن خالد	١٩ سنة	طالب ثانوي خدمات محرم بك ومقيم ٩ شارع الحافظ عثمان الإبراهيمية
٣٥	وجيه عبد القادر الشنيطي	٣٠ سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم ١٢٤ شارع السيد محمد كريم إسكندرية
٣٦	رمضان فراج عبد الحافظ	١٩ سنة	طالب بهندسة إسكندرية ومقيم ١٤ شارع المماليك بكرموز إسكندرية
٣٧	خالد إبراهيم أحمد سالم	١٩ سنة	طالب بمصطفى كامل الثانوية إسكندرية ومقيم ٨ شارع رمضان الإبراهيمية

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٣٨	ممدوح جابر حافظ موسى	١٩ سنة	طالب بصيدلية إسكندرية ومقيم ٣٤ شارع الواثق بالحفرة البحرية باب شرقي
٣٩	محمود عادل فرج البلبيسي	٣١ سنة	طالب بهندسة إسكندرية ومقيم بجوار المترل ١٨ شارع بور سعيد بالشاطيء
٤٠	طلعت عباس عوض الله أحمد	١٩ سنة	طالب بهندسة إسكندرية ومقيم برقم ٣ شارع أبن حوفر بجناكليس سان استفانو
٤١	محمد السيد أحمد جاد الكريم	٢٠ سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم برقم ٣٠ شارع إسماعيل غانم بمحرم بك

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٤٢	إبراهيم يوسف سيد أحمد زاهر	١٩ سنة	طالب بفصول خدمات محرم بك الثانوية ومقيم ٣٥ شارع جواد حسني بسموحه
٤٣	محمد فراج محمد عبد الكريم	٢٨سنة	سائق أجره ومقيم برقم ٥ شارع المماليك بكرموز — إسكندرية
٤٤	يسري إبراهيم علي رفاعي	٢٠سنة	طالب بكلية التربية جامعة إسكندرية ومقيم ٢٨ شارع محمود حسن فهمي بالحضره البحرية بالإبراهيمية
٤٥	أحمد إبراهيم محمد محمد عيسى	١٩سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم بشارع الجامع عزبة النشا ملك والده بإسكندرية

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٤٦	السيد محمود أحمد السيد	٣٠سنة	سائق بالنقل العام بترام إسكندرية ومقيم ٢٢ شارع الخالد — قسم الوايلي
٤٧	سعيد حسني سعد محمد موسى	٢٠سنة	طالب بالمرقسية الثانوية بإسكندرية ومقيم بملك عاشور بشارع المحطة بالبحرية أمام مستشفى المواسم بالإسكندرية
٤٨	محمد محمود عبد العزيز شاهين	٢١سنة	طالب بط إسكندرية ومقيم ٢٨ شارع حسني رشيد قسم مينا البصل — إسكندرية
٤٩	سعد مصطفى محمد شحاتة	٢١سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم بشارع لمعي بسيدي بشر قسم المنتزه

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٥٠	محمد محمد علي خليفة	١٩سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم ١١ شارع سليمان باشا بالمنشيا إسكندرية
٥١	رأفت إسماعيل محمد إسماعيل	٢١سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم ١ حارة القاضي من شارع الناصرية كوم الشقافه
٥٢	عبد القوي محمد عبد الحفيظ	٢٠سنة	طالب بالمعهد التجاري المتوسط بينها ومقيم برقم ٧ شارع اللبان بشط العنب بكرموز بإسكندرية

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٥٣	محمد عباس محمد السروجي	٢١ سنة	طالب بزراعة إسكندرية ومقيم ٥ شارع اسحق أفندي بالجمرك بإسكندرية
٥٤	محمود عبد الله مرسي	٢٠ سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم ٨ شارع محفوظ قسم محرم بك إسكندرية
٥٥	يسري عامر محمد السيد عامر	٢٢ سنة	جندي بالقوات البحرية مدرسة المدفعية والصواريخ ومقيم ١٨١ طريق الحرية باب شرقي إسكندرية
٥٦	حسين سعد محمد الشيمي	٢١ سنة	طالب بهندسة إسكندرية ومقيم ٣٤ شارع النعم بمحرم بك إسكندرية

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٥٧	أسامة محمود شوقي خاطر	٢٢سنة	طالب بهندسة إسكندرية ومقيم بالمدينة الجامعية وأسرته تقيم ببندر الزقازيق
٥٨	حسين عبد الرازق محمد إسماعيل	٢٢سنة	طالب بهندسة إسكندرية ومقيم ٨١شارع المحمودية بفيكتوريا قسم المنتزه
٥٩	أحمد محمود أحمد سيد أحمد	١٩سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم ١٣شارع الناصر محمد بغيط الصعيدي محرم بك
٦٠	نجيب محمد عبد المنعم	٢١	طالب بزراعة إسكندرية ومقيم ١٢ طريق الحريه بالمنشية

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٦١	محمد نشأت عبد الفتاح	٢٠سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم ١٢شارع مرسي محمود بمحرم بك إسكندرية
٦٢	محمود السيد حسين سليم	١٩سنة	طالب بالناصرية الثانوية إسكندرية ومقيم ٥شارع كرم قسم الرمل إسكندرية
٦٣	محمد السيد محمد إسماعيل	٢٢سنة	طالب بزراعة إسكندرية ومقيم ٦١قبلي السكة الحديد بسيدي بشر إسكندرية
٦٤	إسماعيل خليفة محمد خليفة	١٩سنة	طالب بدبلوم تجارة ومقيم بالطالبة ميدان الرمله

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٦٥	أحمد محمود منصور	٣٦سنة	صاحب مطعم ومقيم بملك الحاج أمين بعزبة الوالد بحلوان
٦٦	مصطفى يسري أحمد عبد المطلب	٢٣سنة	طالب بطب القاهرة ومقيم ٨١أ شارع صلاح سالم بالجيزة
٦٧	عزت يوسف فرجاني	٣٤سنة	ساعي بالهيئة العامة للتعاون الزراعي بالجيزة ومقيم ٣٦ شارع البطل بالطالبية
٦٨	عز الدين عبد الله محمود عبد الله	١٩سنة	طالب بالسعيدية الثانوية ومقيم ٦ عطفه الملاحين قسم الجيزة

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٦٩	منصور حامد محجوب لطيف	٢٣سنة	طالب بمعهد التكنولوجيا بحلوان ومقيم ٢٥شارع حسني شاكر بالجيزة
٧٠	صلاح الدين فضل سيد رزق	٢٦سنة	طالب بطب القاهرة ومقيم بالطالبية بالهرم حارة زايد شارع عثمان
٧١	عبد الفتاح محمود عبد الفتاح الزيني	٢٢سنة	طالب بالمعهد العالي التعاوني الزراعي بشبرا الخيمة ومقيم ١٠شارع إبراهيم زايد بالطالبية بالهرم
٧٢	محمد محمود علي أبو العلا	٢٩سنة	طالب بالجيزة الثانوية ومقيم ١٥ شارع عيسى حمدي بالعجوزة

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٧٣	أسامة محمد أحمد سيد خليفة	٢٣سنة	طالب بطب القاهرة ومقيم ٢٧ شارع الربيع الجعزي بالجيزة
٧٤	محمد أمين مجاهد	٣٤سنة	موظف بشركة الحديد والصلب ومقيم ٢ شارع محمد حسين أرض اللواء بالجيزة
٧٥	مصطفى عبد المنعم الصيروتي	٢٣سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم ٣٠ شارع الخيشه بمحرم بك إسكندرية.
٧٦	أحمد شكري الرشيدي	٢٠سنة	طالب بزراعة عين شمس ومقيم ٣٧شارع سليمان باشا بقليوب البلد

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٧٧	نبيل عباس عبد الرازق مصطفى	٣١سنة	مهندس بشركة الحديد والصلب ومقيم ١٨ شارع أبو فنه بالمنيل مصر القديمة
٧٨	أحمد محمد سيد خليفة	١٩سنة	طالب بالكلية الجوية ومقيم ٧٧شارع الربيع الجيزي بالجيزة
٧٩	إبراهيم إبراهيم السيد محفوظ	٢٩سنة	موظف بمصنع ١٣٥بحلوان ومقيم ٥٠شارع السكة الحديد بالمعصرة المحطة
٨٠	عبد الرؤوف أمير جيوشي محمد	٢٤سنة	عامل بمصنع ٩٩٩الحربي بحلوان ومقيم ١٥ شارع الشيخ طمال الجزائري حدائق شبرا

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٨١	حسن حسن علي بدران	٢١ سنة	طالب بكلية الألسن ومقيم شارع الأصبع قسم الزيتون
٨٢	عيد إبراهيم أحمد حسن أبو دشيش	٢٠ سنة	طالب بتجارة عين شمس ومقيم بعزبة شركس بقليوب البلد
٨٣	محمود عبد الله رضا	١٩ سنة	طالب بكلية تربية الأزهر ومقيم ١٦٤ شارع شبرا
٨٤	نبيل مختار محمد جاد المولى	١٩ سنة	طالب بزراعة الأزهر ومقيم ٣شارع الإصلاح قسم روض الفرج
٨٥	محمد أحمد حسن وشهرته ربيع	٣٦سنة	رسام بشركة المشروعات الهندسية بحلوان ومقيم بشارع ١٠٥رقم ٢٠ب بالمعادي

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٨٦	محمد ياسر سعد علي مصطفى	٢٠ سنة	طالب بزراعة إسكندرية ومقيم ٣٤ شارع محمود حسني فهمي باب شرقي إسكندرية
٨٧	محمد علي حسين حسن جعفر	١٩ سنة	طالب بالناصرية الثانوية إسكندرية ومقيم ٤٣٧طريق الحرية برشدي — سيدي جابر
٨٨	شريف محمد رشاد النبال	١٩ سنة	طالب بصيدلية إسكندرية ومقيم بشارع الكنيسة الماردنية ٣بالمنشية إسكندرية
٨٩	صلاح الدين فهمي حامد أحمد	٢٠ سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم ٤شارع المظفر محرم بك إسكندرية

	اسم المتهم	السن وقت المحاكمة	البيان الشخصي
٩٠	علي الشريف عبد الله عجمي	١٩ سنة	طالب بطب إسكندرية ومقيم ٤ شارع محمود حسن فهمي بالإبراهيمية إسكندرية
٩١	فتحي عبد السلام السيد مبارك	٢٩ سنة	نقيب مهندس بالقوات المسلحة ومقيم ٢٥ ب بشارع العزيز بالله — الزيتون
٩٢	سعيد عبد الله حماد	٢٥ سنة	نقيب مهندس بالقوات المسلحة ومقيم بعمارة حماد خلف مسجد ناجي بالدخيلة إسكندرية

الفصـــل الثالـــث

الجهاد بقيادة الظواهري وسيد إمام

وأخيرا محمد عبد السلام

"كلما رأيت جمالا فى الكون قلت لا يستحق هذا الجمال سوى إله ... وكلما رأيت نقصا فى الكون قلت لا يستطيع أن يكمل هذا النقص إلا إله"

"العقـــــــــاد"

عندما تم القبض على صالح سرية وتنظيمه، تحسب إسماعيل طنطاوى من ورود اسمه في التحقيقات، فهرب إلى هولندا. وبعدها تزوج هولندية، وحصل على الجنسية الهولندية. وعندما داهم الأمن مترله، لم يجده، وقام بعد ذلك كل من أيمن الظواهرى وعصام القمرى وسيد إمام الشريف "والذى قام بكتابة مراجعات الجهاد فى عام ٢٠٠٧ والتى ستجدون جزء منها خلال الفصل الأخير" بإعادة تنظيم الجماعة، واستمروا في نشاطهم إلى أن إكشفوا للأمن في أكتوبر ١٩٨١م، بسبب محاولاتهم للاندماج مع تنظيم محمد عبد السلام فرج، وألقي القبض على أيمن الظواهرى، وعصام القمرى، ونبيل البرعى، والدكتور أمين الدميرى، ومعظم أعضاء التنظيم. وهرب كل من سيد إمام، و محمد الظواهرى .

ولكن الظواهرى، الذى أصبح الرجل الثاني بعد أسامة بن لادن حاليا، والمطلوب، بشكل سريع وفورى، من المخابرات الأمريكية "أيمن محمد الظواهري مولود في مدينة كفر الدوار

في محافظة البحيره في ١٩ يونيو ١٩٥١ كان جده "الظواهري" أحد شيوخ الجامع الأزهر ، وجده لأمه هو الدكتور عبد الوهاب عزام أستاذ الآداب الشرقية، وعميد كلية الآداب، ورئيس جامعة القاهرة، وهو الذي ترجم شعر الشاعر الشهير محمد إقبال إلى اللغة العربية،كما شرح شعر المتنبي في ديوان شهير له، وله كتابات عديدة. أما والده فهو الدكتور محمد ربيع الظواهري ، الأستاذ بكلية الطب جامعة عين شمس، وأحد أشهر أطباء مصر ، وخاله سالم عزام، أمين المجلس الإسلامي الأوروبي، وخاله الآخر محفوظ عزام نائب رئيس حزب العمل المصري .

فقد نشأ في بيئة ملتزمة إسلاميًا ، وكان حريصا منذ طفولته على أداء الصلاة في المسجد، وحضور الدروس وحلقات العلم، ومولعا بالقراءة والمطالعة، منصرفا عن اللهو والأصدقاء .كان الدكتور أيمن يتردد على مسجد "أنصار السنة" ، ويلتقي ورفاقه هناك حيث يستمعون الى الدروس الدينية، ويحضرون حلقات التجويد. كانت تلك البداية .. جلسة يقرأون فيها القرآن، ويتعلمون التجويد على يد أحد المشايخ، ثم من يحترف منهم القرآن وتجويده، يعلم أخوانه، ثم يقرأون كتب التفسير.

وبعد ذلك بدأوا يقرأون كتب طبعت في "المكتبة السلفية"

مثل كتب ابن تيمية، الذي أثّرت فتاويه فيهم تأثيرًا كبيرًا. وقد تلقى الشيخ الظواهري تعليمه الأولي في مدارس مصر الجديدة والمعادي، قبل أن يلتحق بكلية طب "قصر العيني / جامعة القاهرة" ويتخرج فيها عام ١٣٩٤ هـ بتقدير "جيد جدا" ثم حصل على درجة الماجستير في الجراحة العامة عام ١٣٩٨ هـ ثم حصل بعدها على درجة الدكتوراه" في الجراحة من الجامعات الباكستانية.

ويقول هو عن بدايته:

"كانت بدايتي في الحركة الإسلامية في هذه الجماعة "أي جماعة الجهاد" التي أتشرف بالانتماء إليها، وكان ذلك في حوالي سنة ١٩٦٦، عندما تكونت النواة الأولى لهذه الجماعة بعد مقتل الشهيد سيد قطب رحمه الله.

وفي النصف الثاني من سنة ١٩٨٠ وأوائل ١٩٨١ ، قمت بالسفر إلى أفغانستان للاطلاع على الأوضاع من قرب هناك، واكتشفت الإمكانيات الهائلة التي يمكن أن تستفيد منها الحركة الإسلامية في ساحة الجهاد الأفغاني".

ألقي القبض عليه فى عام ١٤٠١ هـ ، على خلفية اغتيال السادات. وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات ، وتم الإفراج عنه عام ١٤٠٥ هـ .

سافر للعمل طبيبا في مستشفى بالجزيرة العربية، ولكنه لم يمكث هناك طويلا، إذ سافر إلى باكستان، ثم أفغانستان وهنا يقول:

"وبعد الخروج من السجن، بدأنا في تجميع الإخوة من جديد. وقررنا استغلال الساحة الأفغانية لتدريب أعداد ضخمة من الشباب المسلم، وقد وفقنا الله سبحانه وتعالى في ذلك توفيقًا كبيرًا"

فى ١٤٠٥ بدأ الظواهري عمله كطبيب جراح في مستشفى الهلال الأحمر الكويتي، لعلاج جرحى الجهاد الأفغاني، عبر مستشفى أقيم لهذا الغرض في بيشاور، على الحدود الأفغانية الباكستانية. ثم في مراحل لاحقة من الجهاد، بدأ يدخل إلى الخطوط الأمامية للقتال ، ليمارس عمله في تطبيب الجرحى في مستشفيات ميدانية من داخل أفغانستان. وفى عام ١٤١٣ انتقل الشيخ الظواهري، بصحبة الشيخ أسامة بن لادن إلى السودان. وفى سنة ١٤١٣ أيضا أسس مع اسامة بن لادن وآخرين "الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين" وفي سنة ١٤١٦ عاد الظواهري إلى أفغانستان بعد سيطرة الطالبان، وقيام الإمارة الإسلامية .

لقد شهد عام١٩٨٠ أحداثا هامة في تاريخ تيار الجهاد

المصرى، وهي حل تنظيم الجهاد بقرار من الدكتور مصطفى يسرى أمير عام التنظيم آنذاك، وامتناع القيادات الوسطى للتنظيم عن إبلاغ قرار الحل للمجموعات، واستقلال كل منهم بمجموعته للعمل منفردا وفق أرائه الخاصة التى تعلمها في إطار التنظيم المحلول، وطرح المهندس محمد عبد السلام فرج لتصوره عن التكتيكات والأساليب الواجب اتباعها من قبل التيار الجهادى في سعيه لتحقيق أهدافه.

وقد سعى المهندس محمد عبد السلام لتحقيق أهدافه بهذه الأساليب، والتى تعتبر مزيجا من أساليب جماعتى "التبليغ والدعوة" و "الأخوان المسلمين". وكان محمد عبد السلام أحد القيادات المتوسطة في تنظيم الجهاد ، ونجح المهندس محمد عبد السلام في عدة خطوات كان لها تأثيرها الكبير على التيار، وهى تجنيد مقدم المخابرات الحربية عبود الزمر لتنظيم الجهاد، الذى يقوده إقناع قيادة الجماعة الإسلامية بالصعيد بفكر الجهاد، وتجنيدها لصالح هذا الفكر، وضمها للعمل من خلال مجموعات ، والاندماج مع عدة مجموعات جهادية هامة، أولها من حيث الترتيب التاريخى مجموعة نبيل المغربى.

ولقد ساهمت هذه الأحداث في تشكيل تاريخ تنظيم الجهاد، فلقد أدت الطريقة التى سلكها محمد عبد السلام إلى

خروج تنظيم الجهاد من حيز الكم العددى المحدود، إلى حيز الأعداد الكبيرة نسبيا، وذلك على حساب الكيف. وكان من المتوقع وقتها أن يكون ذلك على حساب الأمن، لكن الحالة السياسية والأمنية السائدة في مصر آنذاك ساعدت على استمرار التنظيم آمنا ونشيطا حتى أغسطس ١٩٨١ .

وكانت تكتيكات محمد عبد السلام أشبه بنشاط تنظيم على، يسعى للانقلاب على نظام الرئيس السادات، عبر وحدات من الجيش المصرى، ووحدات شبه عسكرية سعى لتكوينها من مدنيين من أعضاء التنظيم. ونجح فى تكوين وتدريب بعض الوحدات المدنية ،كما نجح في ضم عدد من ضباط الجيش للتنظيم، كان أشهرهم مقدم المخابرات الحربية عبود الزمر، والملازم أول خالد الإسلامبولى، والملازم أول احتياط مهندس عطا طايل، والمقدم ممدوح أبوجبل، وغيرهم .

كان تنظيم محمد عبد السلام يتذرع بالسرية ظاهريا، لكن التطبيقات العملية لمعظم قادة وأعضاء التنظيم كانت أقرب ما تكون للعلنية. ليس انطلاقا من مبادئ تنظيمية، بقدر ما كان تعبيرا عن العشوائية والإهمال. لكن ضعف الأجهزة الأمنية حينذاك كان السبب الرئيس لعدم انكشاف التنظيم. وكان محمد عبد السلام متعجلا بشدة للقيام بالتحرك الانقلابى ضد

حكومة السادات العلمانية، وفاقه في هذا التعجل نبيل المغربى، الذى كان لديه مجموعة مدربة تدريبا شبه عسكرى، كما كان نبيل المغربى نفسه ضابط احتياط سابق بالمخابرات الحربية، وكان قد وضع برنامجا مكثفا ، ومبسطا، وقصيرا لتدريب المدنيين على عدد من الأعمال العسكرية، التى رأى أنها كافية لتحقيق أهدافه. وقد أدت حرفية عبود الزمر العسكرية لتعزيز نزعة التعجل - ويصفها البعض بالتهور - لدى محمد عبد السلام، لأن العسكرى عادة ما يقول للسياسى أعطنى الإمكانات، وأنا أنفذ. وهذا ما حدث من عبود عندما وضع خطة القيام بانقلاب عسكرى، يدعمه مدنيون، مدربون عسكريا. لقد طلب من محمد عبد السلام وسائر القادة توفير عدد، حدده بدقة، ليدربه عسكريا، وفق برنامج تدريبى محدد، بجانب توفير كميات وأنواع السلاح والذخائر، والوسائل المختلفة اللازمة، والتى حددها أيضا.

لقد صار الأمر أكثر حسما لدى محمد عبد السلام بعدما أيد تعجله رجل عسكرى بحجم عبود الزمر، حتى لو كان هذا التعجل بشروط. وصار لهذا التعجل مبرراته الموضوعية ، وصارت المشكلة مختزلة في توفير الإمكانات العسكرية فقط، والتى هى في التحليل الأخير: مال، ورجال.

ومن ثم سعى محمد لإيجاد حلول سريعة لمشكلة ضعف الإمكانات. ولم ترضه معدلات التجنيد التى تجرى عبر تكتيكات إما علنية أو شبه علنية، رغم ارتفاع هذه المعدلات جدا، بالقياس لما كان عليه التنظيم أيام مصطفى يسرى و من قبله. ومن ثم سعى لتكتيك جديد، يقوم على تجنيد قادة مجموعات كبيرة نسبيا، بحيث يمثل تجنيدهم تجنيدا لسائر مجموعتهم.

وفي هذا الإطار تعرف على مجموعات عدة، و قام بضمها. بعضها كان من المجموعات المتبقية من تنظيم الجهاد المحلول، وبعضها كان على فكر آخر؛ لكن قام محمد بإقناعهم بفكر الجهاد، وجندهم له.

ومن أمثلة المجموعات الجهادية القديمة ، التى تم دمجها أو التنسيق معها، مجموعة أحمد هانى الحناوى، وجماعة محمد سالم الرحال، التى كان يقودها آنذاك كمال السعيد حبيب، ومجموعة بالشرقية "مركز منيا القمح" كان يقودها أنور عكاشة، وجماعة أيمن الظواهرى، وغيرهم.

وكانت جماعة محمد سالم الرحال من أكبر المجموعات، لأن الرحال سعى لتجميع معظم المجموعات المتبقية من تنظيم الجهاد القديم بعد حله، ولكنه سرعان ما تم ترحيله من مصر -كان

فلسطينيا يحمل الجنسية الأردنية- فترك قيادة التنظيم لكمال السعيد حبيب، الذى وافق فيما بعد على تنسيق واسع النطاق مع تنظيم محمد عبد السلام، وكان هذا التنسيق يقترب من حد الاندماج الكامل.

أما جماعة أيمن الظواهرى، والذى سبق وأشرنا الى سيرته الذاتية، فكانت تركز على تحصيل الإمكانات المادية ، كالمال والسلاح، والبيوت - لاستعمالها كقواعد للتنظيم، أو مخازن للسلاح- أكثر من التركيز على الأفراد، باعتبار أن تجنيد الأفراد هى مرحلة تالية لمرحلة استكمال الإمكانات المادية. وقد تم الاتفاق على الاندماج بين المجموعتين عبر طارق الزمر، مندوبا عن محمد عبد السلام، والدكتور أمين الدميرى، مندوبا عن أيمن الظواهرى .

انضمام الجماعة الإسلامية بالصعيد لمحمد عبد السلام

كانت بقيادة كرم زهدى أبرز المجموعات التى لم تكن على فكر الجهاد، واستقطبها محمد عبد السلام لفكر الجهاد.

هى مجموعة الصعيد، والتى عرفت باسم الجماعة الإسلامية، وقصتها مشهورة، حيث كان الخناق الأمنى قد تم تضييقه على الجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط، بعدما سلكت سلوكا عنيفا، فيما عرف في أدبياتهم فيما بعد بتغيير المنكرات باليد ،كتكسير البارات، ومنع الاختلاط بين الجنسين بالقوة.

وكان قادة هذه الجماعة قد تمردوا منذ عام ١٩٧٩ على نصائح قادة الأخوان المسلمين كالأستاذ عمر التلمسانى، والدكتور محمد حبيب، وقرروا الاستمرار في سلوكهم السياسي الخاص بهم.

وأثناء هذا التضييق الأمنى، هرب منهم من هرب، وكان من الهاربين كرم زهدى، أحد أبرز عناصر مجموعة من ١٢ شخصا، كانت تقود عمل الجماعة بالجامعة، وكانت تسمت باسم "مجلس الشورى". و لم يجد كرم زهدي مكانا للهرب والاختباء من الأمن حينئذ، سوى غرف المدينة الجامعية

بجامعة القاهرة، حيث كان الوضع الأمني هادئا، نظرا لسيطرة السلفيين والأخوان على الحركة الطلابية بالقاهرة حينئذ.

وعلم محمد عبد السلام بخبر وجود كرم زهدي، فقابله عبر عضو تنظيم الجهاد شعبان عبد اللطيف، الذى كان قد أعطى محمد عبد السلام تقريرا شفهيا بشأن كرم ومجموعته. وكان شعبان قد توثقت علاقته بكرم زهدي في المدينة الجامعية بالجيزة، واستطاع محمد عبد السلام أن يقنع كرم زهدي بفكر الجهاد، وتحمس كرم للانضمام للتنظيم؛ لكنه تريث حتى يرجع لبقية زملائه في مجلس شورى الجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط.

ورجع لهم كرم، وجاءوا لمقابلة محمد عبد السلام، و اقتنعوا كلهم - بشكل أو بآخر - بالفكر الجديد، وأصبحوا جزءً من منظومة محمد عبد السلام.

وكان طموح محمد عبد السلام واسعا بشأن سرعة التمكن من تنفيذ انقلابه المأمول. لذلك لم يكتف بهذه المعدلات المتسارعة من التوسع فى التجنيد ، أو الاندماج، أو التنسيق. بل سعى لإقناع جماعات وقادة من اتجاهات فكرية رافضة لفكر تنظيم الجهاد من الأساس، كالأخوان المسلمين، والسلفيين، فكانت الدعوة لعدد من قادة هذه الاتجاهات لحضور اجتماع في بني سويف تحت شعار "التخطيط والتنسيق لمحاربة

فكر جماعات التكفير في مصر"

وكان هذا الشعار مجرد ساتر أمنى للتغطية على الهدف الحقيقى للاجتماع .

تولى الدعوة للاجتماع محمد سعد - من قادة العمل الإسلامي السلفي في بنى سويف- وذلك بإيعاز من محمد عبد السلام. واستضاف محمد سعد الاجتماع في مسكن أحد أتباعه في بنى سويف. وكان الغرض الحقيقى للاجتماع أن يعرض محمد عبد السلام تصوره لإقامة الدولة الإسلامية، عبر الانقلاب العسكرى، ويطلب من الحاضرين تأييد هذا التصور ، ودعمه بالمال والرجال. وقد دعى محمد سعد لهذا الاجتماع قادة من السلفيين، منهم محمد مصطفى الدبيسى، ومحمد أحمد إسماعيل المقدم، وغيرهما. كما دعى أسامة عبد العظيم، ولم يحضر، كما دعى بعضا من قادة الأخوان، فحضر بعضهم ،كما حضر عدد من قادة الجهاد على رأسهم محمد عبد السلام، والدكتور عمر عبدالرحمن - الذى أصدر فتوى باغتيال السادات -

وولد الشيخ عمر عبد الرحمن بقرية الجمالية بمحافظة الدقهلية سنة ١٩٣٨ وفقد البصر بعد عشرة أشهر من ولادته.

وقد أكمل حفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره ،

ثم التحق بالمعهد الديني بدمياط، ومكث به أربع سنوات حصل بعدها على الشهادة الابتدائية الأزهرية. ثم التحق بمعهد المنصورة الديني ومكث فيه حتى حصل على الثانوية الأزهرية عام ١٩٦٠ ، ثم التحق بكلية أصول الدين بالقاهرة، ودرس فيها حتى تخرج منها في ١٩٦٥ بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، وتم تعيينه في وزارة الأوقاف إمامًا لمسجد في إحدى قرى الفيوم . ثم حصل على شهادة الماجستير، وعمل معيدًا بالكلية مع استمراره بالخطابة متطوعًا، حتى أوقف عن العمل في الكلية عام ١٩٦٩. وفي أواخر تلك السنة رفعت عنه عقوبة الاستيداع، لكن تم نقله من الجامعة من معيد بها، إلى إدارة الأزهر بدون عمل . واستمرت المضايقات على هذا الحال حتى تم اعتقاله بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر في سبتمبر عام ١٩٧٠، حيث وقف الشيخ على المنبر ، وقال بعدم جواز الصلاة علي الرئيس الراحل، فتم اعتقاله بسجن القلعة لمدة ٨ أشهر، وأفرج عنه في ١٩٧١ .

وبعد الإفراج عنه، وعلى رغم التضييق الشديد الذي تعرض له بعد خروجه من السجن، إلا إن ذلك لم يمنعه من مواصلة طلب العلم، فتمكن من الحصول على الدكتوراه، وكان موضوعها "موقف القرآن من خصومه كما تصوره سورة التوبة"

وحصل على "درجة العالمية" بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، إلا إنه منع من التعيين، واستمر المنع حتى صيف ١٩٧٣، حيث استدعته الجامعة، وأخبرته عن وجود وظائف شاغرة بكلية البنات، وأصول الدين. واختار أسيوط، ومكث بالكلية أربع سنوات حتى ١٩٧٧، ثم أعير إلى كلية البنات بالرياض حتى سنة ١٩٨٠، ثم عاد إلى مصر .

وفي سبتمبر ١٩٨١ تم اعتقاله ضمن قرارات التحفظ، فتمكن من الهرب، حتى تم القبض عليه في أكتوبر ١٩٨١، وتمت محاكمته في قضية اغتيال السادات أمام المحكمة العسكرية، ومحكمة أمن الدولة العليا، وحصل على البراءة في القضيتين، وخرج من المعتقل في ١٩٨٤ .

واستقر به المطاف بعد ذلك في سجون أمريكا منذ عام ١٩٩٣، بعد أن وجهت له أربع تهم هي "التآمر والتحريض على قلب نظام الحكم في الولايات المتحدة .. والتآمر والتحريض على اغتيال حسني مبارك .. والتآمر على تفجير منشآت عسكرية .. والتآمر والتخطيط لشن حرب مدن ضد الولايات المتحدة"

وكان محمد سعد بمثابة شاهد و وسيط، لأنه لم يكن حينئذ عضوا في تنظيم الجهاد، حسب إحدى الروايات. ورفض

بعض الحاضرين ما طرحه محمد عبد السلام، وكان على رأس الرافضين قادة الأخوان المسلمين. كما تريث بعض السلفيين، وطلبوا فتوى مباشرة ومحددة بشأن هذا التصور من عدد من العلماء، حددوهم حينئذ. و كان من ضمن العلماء الذين حددوهم، طالبين فتاوى منهم بالموافقة على هذا التصور: الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى، والشيخ عبدالعزيز بن باز.

وهكذا سعى محمد عبد السلام ، بكل دأب، للإسراع بالإطاحة بالرئيس السادات، وإقامة دولة إسلامية وفق تصوره. ويمكن تصور حجم نشاط محمد عبد السلام، إذا علمنا أن النتيجة كانت ارتباط كل المجموعات الجهادية، التى كانت موجودة بمصر حينئذ، بتنظيم محمد عبد السلام برابطة ما.. إما التنسيق، أو التعاون، أو الاندماج، أو التعاهد على الاندماج، ونحو ذلك من الاتفاقات.

لكن الأيام جرت بما لم يكن يتوقعه محمد عبد السلام نفسه، فسرعان ما دبت الخلافات بينه وبين الجماعة الإسلامية، فتحولت العلاقة من اندماج كامل إلى تعاون، ومعاهدة على الاندماج عندما يحين وقت القيام بالانقلاب. و لم يكد محمد عبد السلام يفيق من هذه الخلافات، حتى باغتته قرارت ٥ سبتمبر ١٩٨١، وكان محمد عبد السلام مطلوبا للاعتقال فيها،

ضمن حملة الاعتقالات الشهيرة؛ ولكنه نجح في الهروب من أجهزة الأمن.

وفي نفس الوقت ،كانت قوائم الاعتقال تتضمن أغلب أعضاء مجلس شورى الجماعة الإسلامية؛ لكنهم هربوا، ولم يعتقل منهم سوى طلعت فؤاد قاسم. وتوجه عدد كبير من مجلس شورى الجماعة الإسلامية إلى القاهرة، وسعوا لمقابلة محمد عبد السلام وأركان قيادته.

وفي الاجتماع ألح قادة الجماعة الإسلامية على أهمية أن يتحرك تنظيم الجهاد بسرعة، ويباشر القتال ، ما دام السادات بدأ بضرب الحركة الإسلامية عبر قرارات التحفظ - والتي اشتهرت فيما بعد بقرارات ٥ سبتمبر١٩٨١- وحذروا تنظيم الجهاد من أن يقع فيما وقع فيه الأخوان المسلمون عندما ترددوا في استخدام القوة ضد عبد الناصر، مما أفسح المجال لعبد الناصر للبطش بهم.

وفي الواقع، إن هذه الفكرة كانت الفكرة السائدة لدى تيار الجهاد، وكان محمد عبد السلام نفسه هو الذى رددها كثيرا من قبل على أسماع قادة الجماعة الإسلامية. فحينئذ لم يكن أحد من الجهاد ينتقد الأخوان في شيء ذى بال غير هذا. وكان محمد عبد السلام غائبا عن هذا الإجتماع لأسباب

أمنية، لكن حضره عبود وطارق الزمر، وصالح جاهين، وغيرهم من أركان القيادة لدى محمد عبد السلام.

وقد وعد الجهاديون قادة الجماعة الإسلامية خيرا؛ لكن أرجأوا القرار النهائى لوقت لاحق، وإن كانوا أشاروا لملامح القرار، التى تلخصت في شن حملة اغتيالات واسعة النطاق لرؤوس الحكم في البلاد، تشمل فيما تشمل السادات نفسه.

وتقرر في الاجتماع أن يقيم أسامة حافظ بالقاهرة، ليكون حلقة الوصل بين الجهاد والجماعة الإسلامية التى كان قادتها يعيشون هاربين في الصعيد. وانفض الإجتماع على ذلك في مساء ٢٥ سبتمبر ١٩٨١ ...

في نفس الوقت الذى عقد فيه الاجتماع بمقر تابع لصالح جاهين، بقرية صفط اللبن ،بمحافظة الجيزة، داهمت ثلاث حملات من قوات الأمن ثلاث مقرات هامة لتنظيم الجهاد بالجيزة. أحدها كان المقر المقرر لعقد الاجتماع المذكور، والثانى منزل عبود الزمر نفسه، وذلك بالمخالفة للقانون، الذى يمنع تفتيش أى شئ تابع لضابط المخابرات الحربية إلا بواسطة المخابرات الحربية نفسها.

وكان خبر انطلاق الحملات قد وصل لتنظيم الجهاد قبيل انطلاقها بخمس دقائق، فاكتفوا بتغيير مكان الاجتماع،

وتشديد إجراءات التأمين له، مما ضيع على الأمن فرصة صيد ثمين وسهل، كان الحصول عليه سيغير مجرى التاريخ في مصر.

وبعد الاجتماع، علم قادة الجهاد بانكشاف أمر التنظيم للأمن، فجرت عملية انتشار واسعة، والتي أطلق عليها "الهروب المنظم" مما قطع صلتهم بأسامة حافظ، ومن ثم بمجموعة الجماعة الإسلامية برمتها. وخلال أيام قرر محمد عبد السلام اغتيال السادات عبر عدد من ضباط الجيش التابعين له، و استقر الأمر على قيام خالد الإسلامبولى بها على الوجه المشهور والمعروف عن العملية.

وفى البداية عارض عبود الزمر، وعدد من قادة الجهاد، وعلى رأسهم المهندس أحمد سلامة مبروك العملية. لكن محمد عبد السلام - الرجل الأقوى في التنظيم - قرر المضى في العملية فتمت ..

وكانت معارضة عبود لأسباب تكتيكية، أما معارضة أحمد سلامة فكانت لأسباب استراتيجية، حيث كان يرى عدم الصدام مطلقا مع الحكومة في هذه المرحلة، و كان يصر على تهريب جميع قادة وعناصر التنظيم الذين تم كشفهم خارج البلاد، بينما يكمل الباقون العمل بهدوء، دون صدام لحين لحظة استكمال الإمكانات الكاملة، و الاستيلاء الشامل على مقاليد الحكم.

ولكن عكس ما توقع الجميع، نجحت عملية اغتيال السادات، وفشلت العمليات الأخرى التى كان مقررا لها أن تتم بالمواكبة معها. وكذا التى كان مقررا لها أن تتبعها، وتساقط أعضاء و قادة التنظيم المسلح الواحد تلو الآخر، وكان سهلا على الأمن أن يجهز على التنظيم في أسابيع محدودة، بمجرد أن أمسك بطرف أول خيط، بسبب الضعف الشديد في الإجراءات الأمنية لدى التنظيم.

ولم يكن قادة الجماعة الإسلامية الهاربون بالصعيد على علم بالهزائم، التى يلقاها حلفاؤهم من قادة الجهاد فى القاهرة وسائر محافظات مصر خارج الصعيد، بسبب انقطاع الاتصال بين حلقة وصلهم -أسامة حافظ- وبين قادة الجهاد بالقاهرة. ومن ثم أصاب صقورهم "كرم زهدى، وعلى الشريف" نوبة من الحماس الشديد إثر سماعهم بخبر نجاح عملية اغتيال السادات من وسائل الإعلام، ومارس كرم زهدى وعلى الشريف إرهابا فكريا وكلاميا على بقية أعضاء مجلس الشورى، حتى إرغماهم على الموافقة على القيام بأحداث أسيوط المشهورة، في فجر أول أيام عيد الأضحى، حيث هاجموا مديرية أمن أسيوط، ومراكز الشرطة، وفرق الأمن، وانهارت منظومة الشرطة، مما دعى لتدخل قوات المظلات

والكوماندوز، التابعين للجيش، وتخليص المدينة من سيطرة الجماعة الإسلامية، والقبض على قادة وأعضاء الجماعة الإسلامية خلال ثلاثة أيام من الصدام المسلح.

و لم يعلم عبود الزمر و قادة الجهاد بأمر أحداث أسيوط، إلا من إذاعة مونت كارلو. وهكذا اجتمع جميع قادة الجهاد، والجماعة الإسلامية مرة أخرى؛ لكن كان مقر الاجتماع هذه المرة داخل السجن، وكان معهم معظم أعضاء الجماعتين.

انصهار الجهاد والجماعة الإسلامية داخل السجن

في بداية مرحلة السجن، كان الجميع من أعضاء وقادة الجماعة الإسلامية والجهاد، مشغولين بالتحقيقات والمحاكمات؛ لكنهم بعد مرور عدة شهور عليهم في السجن، تم نقل مقدم المخابرات الحربية السابق عبود الزمر ، ورائد المدرعات السابق عصام القمري من السجن الحربي إلى سجن ليمان طرة، حيث كان يقبع عدد من قادة كل الجماعة الإسلامية والجهاد.

ولم يكن يدور في خلد أحد منهم حينئذ أي تصور مستقبلي لعمل جماعي داخل أو خارج السجن، كما لم يسع أي منهم حتى ذلك الوقت للقيام بأي عمل تنظيمي داخل السجن. وكانت حالة قادة الجهاد، والجماعة الإسلامية ،حينئذ، مختلفة عن حالة كل من عبود الزمر وعصام القمري. فالأخيران قد تورطا، و هما في السجن الحربي، في تدبير محاولة للهروب من السجن، والقيام بانقلاب عسكري يعقب هروبهما من السجن، وقد اتصلا لهذا الغرض بمجموعة من قادة الجهاد، والجماعة الإسلامية الهاربين ،كانوا قد نظموا أنفسهم، بمساعدة عبود الزمر وعصام القمري، وكان على رأس هذا التنظيم الهارب

عديدون، من أشهرهم رفاعي طه، ومنتصر الزيات، وصلاح عبد القادر، ومجدي سالم، وعادل عبد المجيد، وهاني السباعي، وآخرون.

وعندما تم نقل عبود، والقمري إلى سجن ليمان طرة، سعى الاثنان إلى دمج وتوحيد تنظيم قادة الجماعة الإسلامية والجهاد في جماعة واحدة، تحت ذريعة الإعداد لمواجهة المحاكمة، التي عرفت إعلاميا في ذلك الوقت باسم "محاكمة الجهاد الكبرى"، والتي كان من المزمع أن يقدم لها ٣٠٢ من القادة والأعضاء النشطين في كل من تنظيمي الجهاد والجماعة الإسلامية.

وتكون مجلس شورى لقيادة الكيان الذي أريد له أن يجمع تنظيم الجهاد "جماعة محمد عبد السلام، وجماعة أيمن الظواهري، وجماعة سالم الرحال"، بالاضافة "للجماعة الإسلامية". وكان مجلس الشورى مكونا من كل من أيمن الظواهري، وطارق الزمر، وناجح ابراهيم، وعصام دربالة أعضاء، وعبود الزمر رئيسا. كما كانت هناك لجان نوعية انتظم فيها العديد من القادة الآخرين من سائر المجموعات. وعندما استقال عبود الزمر من رئاسة مجلس الشورى لبعض الوقت، خلفه في رئاسة المجلس عصام القمري، لكن الجماعة الإسلامية طالبت بإلحاح برجوع عبود في رئاسة المجلس بعد

فترة وجيزة، وقد تم ذلك.

وحدثت خلافات كثيرة بين كل منظمات الجهاد من جهة، وبين قادة الجماعة الإسلامية من جهة أخرى. ورغم إن هذه الخلافات قد اتخذت العديد من المظاهر، إلا إن جوهرها الحقيقي كان صراعا على قيادة الكيان الجديد، الذي ضم كل الجهاديين والجماعة الإسلامية في كل السجون تقريبا، إذ كان قادة الجماعة الإسلامية ، وهم مجلس الشورى الخاص بالجماعة الإسلامية، والذي كان مكونا من ١٢ عضوا، وكلهم كانوا وقتها من طلبة جامعة أسيوط، عدا كرم زهدي، الذي كان وقتها طالبا بمعهد التعاون الزراعي - وقيل إنه كان مفصولا من المعهد في ذلك الوقت- يسعون للسيطرة على قيادة الجماعة الجديدة، التي كان الجميع يظن أنها ستكون ذات دور بارز في العمل الإسلامي ، بعد خروج عدد من القادة من السجن، إثر انتهاء المحاكمات. وكان قادة منظمات الجهاد المختلفة يرون أنفسهم أنهم ذوي خبرات مختلفة، فعبود الزمر وعصام القمري كانا ضابطين سابقين ومرموقين في الجيش بالنسبة لأبناء جيلهما، كما كان أيمن الظواهري، والعديد من قادة الجهاد، قد أتموا دراساتهم الجامعية، ولهم خبرات تنظيمية جيدة وعديدة، تختلف عن الحال الذي كان عليه قادة الجماعة

الإسلامية. ولذلك، فقد قال عصام القمري ذات مرة:

"إن قادة الجماعة الإسلامية كلهم طلبة، وكلهم رأيهم واحد، فليس لديهم أي تنوع في الآراء. فلماذا يتعين علينا أن نجلس معهم جميعا، ونستمع لهم جميعا؟ يكفي أن يأتينا واحد منهم برأيهم جميعا وخلاص"

ولكن قادة الجماعة الإسلامية كانوا يتشبثون بالتحرك، وحضور أي لقاءات مجتمعين بكل عددهم، لاعتبارهم إن ذلك يمثل ضغطا على الآخرين. كما كانوا يصدرون النصائح والتوصيات باسم الدكتور عمر عبد الرحمن، الذي كانوا قد ضمنوا ولاءه الكامل لهم، وعدم خروجه عن رأيهم أبدا، بينما هو واجهة جيدة دينيا واجتماعيا بصفته عالم دين محترم، في مواجهة قادة الجهاد ذوي الخبرات، التي لن يختلف على إنها أعلى منهم كمجرد طلبة في ذلك الوقت. ونظرا لنجاح قادة الجماعة الإسلامية في استخدام الدكتور عمر عبد الرحمن بهذه الطريقة، فقد تفجرت قضية إنه لا ولاية لضرير، والتي فجرها في بداية الأمر عصام القمري، وتبعه جميع أعضاء وقادة الجهاد بعد ذلك. ولم تكن ما يسمى بولاية الأسير - التي أثارتها مجلة روزاليوسف فيما بعد ذلك بسنوات - مثارة بأي شكل من الأشكال، لأن الجهاد كان من قواعدهم إنه لا ولاية لا لأسير

ولا لضرير، بينما كانت الجماعة الإسلامية تؤيد الأمرين بلا أي جدل. فقادة الجماعة الإسلامية في السجن كان لهم القول الفصل في كل شئ يخص الجماعة الإسلامية خارج السجن، بل وخارج مصر أيضا. كما كان الدكتور عمر عبد الرحمن هو أمير الجماعة الإسلامية المعلن، بغض النظر عن حقيقة الصلاحيات التنظيمية التي كان يمتلكها في حقيقة الأمر.

وعلى كل، فقد افترقت السبل بكل من الجماعة الإسلامية والجهاد منذئذ، وخرج من السجن ثلاث جماعات جهادية منفصلة. الأولى الجماعة الإسلامية المعروفة بقيادة حقيقية لمجلس الشورى المكون من ١٢ عضوا، والذين يطلق على من تبقى منهم حتى الآن القادة التاريخيون للجماعة الإسلامية، وهم الذين قادوا مبادرة وقف العنف، وسوف نخصص لهم فصلا كاملا من هذا الكتاب.

والجماعة الثانية ،التي تمخضت عنها هذه الخلافات، هي جماعة عبود الزمر، والتي قادها بعد الخروج من السجن مجدي سالم وأحمد النجار وعادل السوداني وأحمد سلامة مبروك وآخرون.

والجماعة الثالثة هي جماعة أيمن الظواهري .. وقد توحدت جماعة عبود الزمر، وأيمن الظواهري في أواخر عام

١٩٨٨، وتشكلت قيادتها من "أيمن الظواهري وأحمد سلامة، والرائد عبد العزيز الجمل، ومحمد الظواهري، وعادل عبد القدوس" وغيرهم. وكان الأمير العام حينئذ الدكتور سيد إمام الشريف، وصار اسم هذه الجماعة الجديدة "جماعة الجهاد الإسلامي" واشتهرت في خارج مصر باسم "الجهاد المصري" .

بالإضافة لذلك، فقد انفصل عبود الزمر وطارق الزمر، والعديد من قادة الجهاد الذين معه في السجن عام ١٩٩١ عن جماعة الجهاد هذه، وانضموا للجماعة الإسلامية في السجن.

وخاضت "جماعة الجهاد الإسلامي" عدة عمليات مسلحة ضد رموز للسلطة. كما حاولت ارتكاب مزيد من هذه العمليات، و فشلت، وتعرضت لضربات أمنية قاسية في داخل وخارج مصر، مما استدعاها لإصدار قرار بوقف جميع عملياتها المسلحة داخل مصر عام ١٩٩٥ ، ولم تقم بأي عملية منذ تلك الفترة حتى اشتركت مع منظمة القاعدة في عمليتي نسف السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا، ردا على عملية خطف المخابرات الأمريكية لعدد من قادة وعناصر جماعة الجهاد. وكان أشهر المخطوفين من قادة الجهاد قبل قصف السفارتين أحمد النجار عضو مجلس شورى الجهاد، و مسئول التنظيم المدني به.

الفصـــل الرابـــــع

الشيخ عمر عبد الرحمن.. حوار نادر وفتوى اغتيال السادات

"دعوهم .. دعوهم لو خلقتموهم لرحمتموهم .. إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم"

"مـــن حـــديث قـــدســـى"

ولد الشيخ عمر عبد الرحمن بقرية الجمالية بمحافظة الدقهلية سنة ١٩٣٨، وفقد البصر بعد عشرة أشهر من ولادته، وقد أكمل حفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره، ثم التحق بالمعهد الديني بدمياط، ومكث به أربع سنوات، ثم حصل بعدها على الشهادة الابتدائية الأزهرية، ثم التحق بمعهد المنصورة الديني، ومكث فيه حتى حصل على الثانوية الأزهرية عام ١٩٦٠ ، ثم التحق بكلية أصول الدين بالقاهرة، ودرس فيها حتى تخرج منها في ١٩٦٥ بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف ، وتم تعيينه في وزارة الأوقاف إمامًا لمسجد في إحدى قرى الفيوم ، ثم حصل على شهادة الماجستير، وعمل معيدًا بالكلية مع استمراره بالخطابة متطوعًا، حتى أوقف عن العمل في الكلية عام ١٩٦٩. وفي أواخر تلك السنة، رفعت عنه عقوبة الاستيداع، لكن تم نقله من الجامعة من معيد بها إلى إدارة الأزهر بدون عمل . واستمرت المضايقات على هذا الحال حتى تم اعتقاله فى سبتمبر عام ١٩٧٠، بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، حيث وقف الشيخ على المنبر ، وقال بعدم جواز

الصلاة علي الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فتم اعتقاله، وأودع بسجن القلعة لمدة ٨ أشهر ،ولكن الرئيس السادات قام بالإفرج عنه في ١٩٧١. وبعد الإفراج عنه، وعلى رغم التضييق الشديد الذي تعرض له، بعد خروجه من السجن، إلا إن ذلك لم يمنعه من مواصلة طلب العلم، الذى كان حريصا عليه بشدة، رغم فقده البصر كما أشرت. وبالفعل تمكن من الحصول على الدكتوراه، والتى كان يدور موضوعها تحت عنوان "موقف القرآن من خصومه كما تصوره سورة التوبة". وحصل على "درجة العالمية" بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، إلا أنه منع من التعيين، واستمر المنع حتى صيف ١٩٧٣ ، حيث استدعته الجامعة، وأخبرته عن وجود وظائف شاغرة بكلية البنات، وأصول الدين، واختار هو أسيوط -وكأنه كان يريد الابتعاد عن الأضواء لينفذ ما يخطط له- ومكث بالكلية أربع سنوات حتى ١٩٧٧، ثم أعير إلى كلية البنات بالرياض حتى سنة ١٩٨٠، ثم عاد إلى مصر .

وفي سبتمبر ١٩٨١ ، تم اعتقاله ضمن قرارات التحفظ، فتمكن من الهرب حتى تم القبض عليه في أكتوبر ١٩٨١. وتمت محاكمته في قضية اغتيال السادات أمام المحكمة العسكـــرية ومحكمـــة أمن الدولة العليا ، وحصل على البراءة في القضيتين،

وخرج من المعتقل في ١٩٨٤ ، واستقر به المطاف بعد ذلك في سجون أمريكا منذ عام ١٩٩٣ بعد أن وجهت له أربع تهم هي "التآمر والتحريض على قلب نظام الحكم في الولايات المتحدة .. والتآمر والتحريض على اغتيال الرئيس محمد حسني مبارك .. والتآمر على تفجير منشآت عسكرية .. والتآمر والتخطيط لشن حرب مدن ضد الولايات المتحدة الامريكية "

كان هذا وباختصار شديد هو الشيخ عمر عبد الرحمن فى سطور مختصرة، الذى سبق وأن تحدثت عن تاريخه مع الجماعات الإسلامية وخاصة الجماعة الإسلامية التى نصبته أميرا عليها فى الفصول السابقة، ولكنني وجدت إننى يجب أن أخصص له جزءً من هذا الكتاب، الذى قد يصبح مرجعا مهما للأجيال القادمة، وبدون أوجه التأييد أو النقد للشيخ، فإنني عثرت على حوار نادر له مع "مجلة المجتمع" ، وستحتوى السطور التالية على هذا الحوار، الذى سيفهم منه القاصى والداني من هو الشيخ عمر عبد الرحمن بالضبط، وهل بالفعل تعد أفكاره خطرا على المجتمع أم لا ... وأنا أقصد هنا من النواحي الأمنية..

والتالي نص الحوار الذى اجري يتاريخ ١٣/رمضان/١٤٠٩ هـــ ..

"الدكتور عمر عبد الرحمن يملك وجهة نظر محددة في قضايا الدعوة الإسلامية المعاصرة، حوكم أكثر من مرة، ودخل السجن بناء على قناعات أكثر من مرة، وهو لا يفتأ يبذل ويكافح .. حوارنا هذه المرة كان معه حول قضايا الجهاد، والأمر بالمعروف، وإمكانيات التغيير والحوار "بعد هذا" صورة لإبراز آراء الرجل وفكره وبلورة مواقفه

س .. ترى ما هي أولويات العمل الإسلامي في نظر الشيخ عمر؟

أنا لست أرى الآن .. إلا وجوب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ثم البيان الواضح للناس أن ما هم فيه في بعض المواقع يقع تحت إطار حاكم يغتصب حق الله تعالى، حيث تحكم شريعة غير شريعة الله سبحانه، وحيث يعتدى على الشعب بأشكال وألوان مختلفة، وهكذا فالأمر لا يبتعد عن الدعوة إلى الله، وإفهام الشعب حقه نحو دينه، وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نبين للناس أن هذا معروف فاتبعوه ، وهذا منكر فاجتنبوه، وهو لا يحتمل أكثر من هذا.

س .. هل يندرج تحت هذا المفهوم قيام بعضهم بعمليات عنف؟

العنف الذي تقول عنه أو تصفه، لا أستطيع أن أتفق معك على

تسميته كذلك .. أنا أقول إن العنف هو ما فعلته بعض الأنظمة والحكومات، والذي يتمثل بأشكال وصور مختلفة، بعضها اقتحام البيوت، وإيذاء الآمنين. ولكن الرد على هذا أسميه أنا "دفاعًا عن النفس" وهو حق مشروع في الإسلام. فإذا ما دافع المسلم بمقتضى دينه عن بيته، وأهله، وعرضه سموه عند ذلك إرهابيا !..كلا ليس الأمر كذلك . بعض تلك العمليات التي تذكرها تقع تحت دائرة النهي عن منكر حادث، ذلك أنه عندما تستشري المنكرات، ويظهر الفساد، وتكون الدعوة مستمرة، فإنها ستصطدم بأنصار الفساد ومؤيديه، الذين يتمثلون في مرحلة من المراحل بالسلطان وجنده. فإذا ما تبجح أهل المنكر استنادًا لهذه القوة، كان لزامًا على أهل الحق أن يظهروا شيئًا من الشدة في النهي عن المنكر، لكي يرتدع المجرم الآثم، ولكي يبتعد عن هذا المنكر. ولو لم تحم الحكومة هذا المنكر، لما استطاع البقاء والاستمرار، ولأثرت فيهم الدعوة إلى الله. ولهذا تبوء الحكومة بإثم هذا المنكر.

س .. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما هو معلوم له مراحل ثلاثة، الإنكار بالقلب، واللسان، واليد، ترى ما هي أولويات هذه المراحل الثلاثة في نظركم؟

نحن نبدأ بالدعوة إلى الله، وإفهام الناس أمر الدين، وبيان حكمه في أمر ونهي وبيان الواجب والمحرم. فإذا رجع الناس، كان ذلك حسنًا، وإلا كان النهي عن المنكر بمراحله: التبيين

أولًا بلطف وهدوء، ثم التبيين مع التذكير والتنبيه، ثم يأتي بعد ذلك استخدام الشدة في البيان مع الزجر والموعظة، وأخيرا استخدام اليد.

س .. وهل يحق لكل فرد أن يطبق المراحل الثلاثة متى شاء، وأي وقت أراد؟

هذا أمر يكون في إطار الجماعة، وليس في إطار فردي.

س .. أي جماعة تقصدون؟ أهي جماعة المسلمين أم ماذا؟

هي الجماعة الإسلامية .. التي تتولى الإسلام، وتربي الشباب عليه، ولها تواجد مؤكد واضح.

س .. هذه مواصفات عامة تنطبق على كثيرين؟

كل من كان على عقيدة صحيحة في الإسلام، وعلى فهم جيد لمبادئه مجتمعة، لا يؤخر منها شيئًا، ولا يلغي، ثم يدعو إلى الإسلام بشموله .كل من كان على ذلك، فهو قائم بدين الله ويحق لكل جماعة كذلك أن تطبق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراحله الثلاثة

س .. بعضهم يرى أن أشكال وصور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتوزع على طوائف ثلاثة: باليد، وهي تخص الدولة والسلطان، وباللسان وهي تخص العلماء والفقهاء، وبالقلب وهي تخص العامة! فما رأيكم بذلك؟

هذا الكلام يخرجه موسيقار، وهذا توزيع لا أصل له. من جاء بهذا التوزيع؟ .. الدليل عليه إن الرسول خاطب الكل، والكل مخاطب بالحديث، و لم يخص أحدًا بشيء من التغيير دون سواه، والأمر كله موجه للأمة بكاملها

س .. قصة الصراع بين الجماعات الإسلامية والأنظمة قصة مريرة ومؤلمة، ترى هل لهذا الصراع من نهاية؟ وإلى متى؟

إلى متى... ما دام هناك حق وباطل، وعلى امتداد الزمان؛ وجد الصراع بين الحق والباطل ، وسؤال كهذا يريد أن يوقف هذا الصراع .. إن الصراع جاء منذ جاء آدم الأرض، ومنذ اختلف ولداه جاء الصراع، وسيستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومحاولة إيقافه مخالفة لسنة الله، والصراع هذا باق مهما اختلف الأسلوب وتنوعت الأشكال.

س .. الديمقراطيّة مثلًا تتيح لهذا المجال، وذلك من خلال الحوار والمناظرة؟

لا تدخلني في موضوع آخر، فالصراع قائم، والحركات التي تضرب لا يكون ذلك إجهاضًا لها. فالصراع وما يجره من ذيول سلبية ظاهرة على تلك الحركات لا يعتبر كذلك، إن ذلك مرحلة تمحيص، ومرحلة بناء لقواعد التضحية والإخلاص.

وبمفهومي فإن أي عمل إسلامي لا يمكن أن يجهض مطلقًا، استمر العمل أو توقف. لأن لكل مرحلة فوائدها وآثارها التي يحسها الجميع من يقول مثلًا إن "سيد قطب" قد أدى إعدامه إلى إجهاض الحركة؟ لو بقي سيد على حياته، لما عرفه الناس إلا قليلًا. ولكنه لما أوذي في الله، فدخل تاريخ الأمة المسلمة من أعرض الأبواب، وانتشرت أفكاره وكتبه .. وإن استشهاد الحسين أعظم ألف مرة من بقائه على قيد الحياة

س .. وهل الشهادة غاية أم وسيلة؟

لا أعرف هذا الفصل ، فما دام الإسلام قد طالبنا بها فهي أمر يجب أن نحرص عليه، سميناه غاية أم وسيلة. ولا شك أن إعلاء كلمة الله هو الغاية، والجهاد وسيلة لذلك .

س .. فإذا ما تم إعلاء كلمة الله بوسيلة أو بأخرى؟

لا .. لا لن يتم ذلك إلا بالجهاد كما حدده القرآن. ولذلك لست أعتبر ضرب أي حركة إسلامية إجهاضًا لها، بل نصرًا وخيرًا. ثم إن أهل الباطل يفقدون العشرات والمئات في الدفاع عن باطلهم، أفلا يكون جديرًا بأهل الحق أن يستمروا في الدفاع عن الحق - وإن سقطت منهم الضحايا- لماذا لا نعتبر الضحايا جسرًا لانتصار الحق. إننا مقصرون، وكان يجب أن يتضاعف جهدنا وعددنا وليكن منا الضحايا والقتلى.

أعرف شيوعيًا سجن لشيوعيته ١٣ مرة، وهو يستقبل السجن بصدر رحب، رغم أنه يدافع عن عقيدة باطلة. فلماذا لا يدافع أهل الحق عن حقهم، وإن سجنوا وقتلوا .. إن الدعوة إلى الحق تقتضي تكاليف ومتاعب، وهذا طريق الرسول عليه الصلاة والسلام، والرسل من قبله الذين قتلوا في سبيل دعواتهم "أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ"

س .. بعضهم يرى في قوله تعالى رواية عن لسان آدم: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ} يرى فيه مذهبًا أساسا في الدعوة والعمل الإسلامي؟

نحن لسنا مكلفون بما فعله ابن آدم، لأن لدينا شرعًا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وثانيًا .. إننا في شرعنا نعلم تمامًا أن من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد. وقد شرع الإسلام الدفاع عن النفس والمال والعرض، واعتبر المدافع شهيدًا إن قتل. "وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا" فإذا دافع الإنسان عن دينه فهذا من الدين، وإن عفا؛ فهو من الإحسان، ولكن هذا لا يصلح قانونًا مطلقًا

س .. المشاركات السياسية أو التغيير باستخدام الوسائط السياسية المتوافرة كيف تنظرون إليها؟

إذا كنت تقصد الاشتراك في المجالس النيابية، فإنني أعتقد

أن هذا الأسلوب يترك مفاسد كثيرة، كما أنه يوقع الجماهير العريضة في الحيرة والتضليل. إذ يقول الناس لو كان هؤلاء الذين اشتركوا في مجالس الشعب ما اشتركوا في هذه المجالس، إن اشتراكهم في مجالسهم دلالة على شرعية الحكومة، وعلى إنها تؤدي أعمالها، وهذا يدفع الجماهير إلى الالتباس والشك، ولأنهم بعد ذلك يشتركون في مجالس تصدر قوانين وضعية، وهذا الخلط يسبب إحراجًا كبيرًا للناس، أما الادعاء أنهم يستطيعون أن يبلغوا الإسلام عبر هذا المنبر فإننا نقول إن هذا ادعاء يضمحل أمام المنكرات التي تمر أمامهم، وهم لا يستطيعون التحرك كما يجب. هذا مسؤول كبير في مجلس من تلك المجالس يعلن أن تعامل الدولة مع سواها بالربا من المصالح المرسلة، ثم يغلق الجلسة ولا يسمع رأي أحد في ذلك. ويسجل هذا، ويظهر في الصحف، وكأن ذلك المسؤول أكثر فهما من جميع أهل الدين وأنصارهم، وفي هذا إخفاق لا مثيل له. ثم إن القَسَم الذي يقسمه هؤلاء على احترام الاشتراكية .. بم تفسره؟ .. ثم دعني أقول لك إنه لا يمكن أن تظهر الشريعة من مكان أعدّ للقوانين الوضعيّة.

حينما أسس "مسجد الضرار" رفض القرآن أن يقوم المصطفى فيه، بل أصر على إحراقه لأنه أسس على شفا جرف

هار.

وأمر أخير أن وجود الإسلاميين في تلك المجالس، وعشرات القوانين الوضعية تخرج بوجودهم ، هو سبة عار في جبين المعارضة الإسلامية. إذ لولاها لما تبجّح النظام بأنه ديمقراطي لقد أعطى الإسلاميون في بعض البلدان؛ الشرعية لتلك الأنظمة وهذا بلاء كبير"



الفصل الخامس

حكاية عبود وطارق الزمر من المنصة للبديل الثالث



"إذا كنا نريد أن نعمل من أجل الخير ... فالخير الحقيقي يأتي من الله"

"الشيخ الشعراوي"

في إحدى نوبات انفعاله الشهيرة، وجه الرئيس السادات تحذيرا شديد اللهجة إلى المقدم مخابرات حربية **عبود الزمر**، وقال خلال خطاب له بمجلس الشعب فى نهاية سبتمبر ١٩٨١

"الولد الهارب .. بتاع يوم الجمعة .. اللي سماعني دلوقت .. أنا مش هرحمه"

لم يمض على هذا التحذير أيام، إلا وصدر القرار بتصفية السادت، بتخطيط عبود، وتنفيذ مجموعة من زملائه الذين شاركوا في العرض العسكري ..

بعدها بأسابيع قليلة، وتحديدًا في ٢٠ اكتوبر ١٩٨١ ، وصف رئيس الجمهورية الجديد محمد حسني مبارك في حديث له مع جريدة "نيويورك تايمز" عبود الزمر بأنه:

"ولد معقد نفسيًا مر بظروف دفعته إلى التطرف، حيث تزوج و لم ينجب، فطلق زوجته، ثم تزوج من قريبة له لكنه لم ينجب منها أيضا"

وحاول الرئيس مبارك في حواره أن ينفي انتماء الزمر

إلى جهاز المخابرات الحربية - فالتحقيق كان لايزال مفتوحا، والزمر المتهم الثاني في القضية مازال في قبضة جهاز مباحث أمن الدولة، الذي حاول جاهدًا، بشتى الطرق، الحصول على معلومات واعترافات من ضابط الجيش .. لقد كشف تحذير السادات "للولد الهارب" وحديث مبارك عن "الولد المعقد نفسيًا" عن موقف الرئيسين من هذا الضابط، الذي خطط بمعاونة ابن عمه طارق، وآخرين لأقامة دولة الخلافة، مستلهمين روح الثورة الإيرانية التي لم يكن مر على اندلاعها عامين في ذلك الحين.

فما السر في هذا العداء؟ وما مصير هذا المشروع؟ وكيف تمكنت جماعة الجهاد من تجنيد ضابط المخابرات الحربية؟ وما الدور الذي لعبه ابن خالته، وشقيق زوجته، طارق في تجنيده؟ وهل هناك علاقة تربطه باغتيال المشير أحمد بدوي؟ وما هي أسرار قصة هروب "منصور" -الاسم الحركي لعبود بعد اكتشاف أمره؟ وما الدور الذي لعبه "أبو الفدا" - الاسم الحركي لطارق حتى يسلم "منصور" نفسه للأجهزة الأمنية ؟ جميعها أسئلة ستتعرفون على إجاباتها خلال السطور التالية .

عبـــود الــزمــر .....

اسمه .. عبود عبد اللطيف حسن الزمر، ضابط مخابرات حربية سابق ، المتهم رقم ١١ في قضية اغتيال السادات، ورقم ٢ في قضية الجهاد الكبرى رقم ٤٦٢ سنة ١٩٨١ حصر أمن دولة عليا.

ولد فى قرية ناهيا محافظة الجيزة فى ١٩٤٧/٨/١٩ ،كان والده عمدة القرية، واستقال من منصبه، ورحل إلى الجيزة ليتمكن من إلحاق أولاده بالمدارس. تخرج عبود من المدرسة السعيدية الثانوية عام ١٩٦٥، ليلتحق بالكليه الحربية، وتخرج منها عقب النكسة مباشرة، ليشارك فى حرب الاستنزاف، ثم في حرب أكتوبر ١٩٧٣.

تزوج من ابنة خالته "وحدة الزمر" الملقبة بأم الهيثم، بعد أن طلق زوجته الأولى، قبل القبض عليه بنحو عام. قام بالعديد من العمليات الخاصة ضد الاحتلال الإسرائيلى، حيث شارك في عمليات رص الألغام والكمائن، واستطلاع خلف خطوط العدو. حصل على فرقة صاعقة، ومظلات، وجميع الفرق المؤهلة لضباط المخابرات الحربية والاستطلاع، وكان مرشحًا للحصول على درجة الماجستير فى العلوم العسكرية،ولكنه قبض عليه يوم ١٩٨١/١٠/١٣ قبل موعد الامتحان للالتحاق بكلية أركان الحرب بأربعة أيام فقط.

أصدر - مع باقي قيادات الجماعة الإسلامية - البيان الأول لوقف العمليات القتالية فى يوليو ١٩٩٧ .

يقول عبود الزمر:

"لقد مررت بمراحل عديدة قبل الوصول إلى فكر الجهاد، أو بمعنى أدق التصور الصحيح للإسلام، بمفهومه الشامل. فالمرحلة الأولى: وهى انشراح الصدر، والإقبال على طاعة الله تعالى بكل المشاعر والوجدان .. لقد كانت خطب الشيخ كشك تجعل شعر رأسى يكاد يقف، وتسرى فى جسدى قشعريرة غريبة، متفاعلا مع المواقف، ومتجاوبا مع أوامر وتعاليم الإسلام العظيمة .. لقد كانت دموعى تنهمر منى بلا توقف، وكلمات الشيخ إبراهيم عزت -أمير جماعة الدعوة و التبليغ- تدخل إلى قلبى مباشرة، وتسرى فى عروقى، فتعيد إليّ حياتى من جديد. لقد أحسست فى تلك اللحظات أننى أصبحت سيدا على نفسى بعبوديتى لله تعالى، فبذلت وسعى على الفور فى التخلى عن كل ما يخالف الإسلام .. علمت حرمة لبس الذهب للرجال، فخلعت خاتمى الذهبى خاتم الزواج، واشتريت بثمنه كتبا إسلامية تعيننى على فهم الإسلام.. اشتريت فقه السنة للشيخ سيد سابق، وكتاب رياض الصالحين للنووى، ومنهاج المسلم للشيخ أبوبكر الجزائرى،

وأقلعت على الفور عن التدخين بعد أن علمت حرمته.

المرحلة الثانية: هى مرحلة القراءة فى الكتب الدينية بحثا عن الحق. فلقد طالعت بعضا من تلك الكتب، كتفسير القرآن لابن كثير، وكتاب الفتاوى لابن تيمية، والعقيدة الطحاوية، ونحو ذلك .. وأمدنى شقيق زوجتى، الأخ طارق الزمر، ببعض الكتيبات المفيدة مثل "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" لأبى الحسن الندوى و"قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله" و "ماذا يعنى انتمائى للإسلام" للشيخ فتحى يكن، ومجموعة كتب ورسائل الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله، و"جند الله" للشيخ سعيد حوى، و "معالم فى الطريق" للشهيد الشيخ سيد قطب "ورسالة الإيمان" للشهيد الشيخ صالح سرية، ونحو ذلك من الكتيبات التى استعرها من أخوة كرام، أو اشتريتها من معرض الكتاب، أو المكتبات العامة، أو من بائعى الكتب أمام المساجد.

المرحلة الثالثة: وهى مرحلة الخيار بين البدائل المطروحة للتغيير. وكانت هذه المرحلة هى أخطر المراحل بالنسبة لى، حيث كنت أعيش صراعا نفسيا عميقا. فالأوضاع التى يحياها المجتمع تخالف الصورة المنشودة للإسلام، ووجودى فى داخل القوات المسلحة يجعل من احتمال استخدامى لمساندة السلطة

الحاكمة أمرا واردا فى أية لحظة. خاصة إن السادات كان قد دفع بالقوات المسلحة لتأمين البلاد فى اضطرابات ١٩٧٧ ، بعد فشل الشرطة فى السيطرة على الموقف، وكذلك فإنه فى عام ١٩٧٩ وجه ضربة عسكرية إلى ليبيا، بعد أن أنهى حالة الحرب مع العدو الصهيونى. ومعنى ذلك أن دور القوات المسلحة سيكون لخدمة مصالح أجنبية، أو أهواء شخصية. واحتمال الزج بالقوات المسلحة إلى مواجهة الحركة الإسلامية بدعوى تأمين البلاد، أمر وضعوا له حساباته المضللة. ولما كنت أعلم حرمة ذلك النوع من القتال، الذى تراق فيه دماء المسلمين، ولا يجوز لى تحت دعوى الطاعة وتنفيذ الأوامر، أن أشارك فى قتل أو جرح مسلم، يريد أن يقيم شرع الله تعالى فى مصر، وكان هذا الموقف علىّ عصيبا، فلقد أحسست أنه لابد وألا أضع نفسى فى هذه المواجهة، التى أخسر فيها دينى وآخرتى، ففكرت فى الاستقالة، وترك العمل.

واستشرت بعض الأخوة الكرام، الذين أجابونى بما يشفى صدرى، ويدعوننى إلى الانتظار لخدمة الإسلام من موقعى، مع تلافى كل الاحتمالات التى توقعنى فى المحظور الذى أخشاه. وطبيعة التربية العسكرية عموما تجعل الإنسان يأخذ أموره بشىء من الحزم، فيخلص من كل موقف إلى قرار واضح فيه.

ومن هنا كانت المبادرة إلى اختيار وسيلة تغيير لذلك الواقع، الذى أختلف معه جذريا، شريطة أن يكون موافقا لما جاء به الإسلام.

وعلى الفور استبعدت فكرة المنهج الإصلاحى، الذى يدعو إلى بناء قاعدة تفرز بعد ذلك الحاكم المسلم. إذ لم أتخيل إمكانية تنازل أهل الباطل عن مواقعهم، وتسليم السلطة بسهولة لغيرهم، خاصة للإسلاميين منهم. أو إمكان تربية وبناء مجتمع مسلم حقا، وهناك حاكم خارج عن شرع الله. وكذلك فإننى لم أقف طويلا أمام فكرة العزلة عن المجتمع، إذ وجدت فيها منهجا سلبيا فى واقع يدعو إلى إيجابية العمل للتغيير، وهكذا أمضيت شهورا فى التعرف على تلك المناهج من خلال كتيبات ورسائل قادتها. ولكن الذى استوقفنى، هو فكرة الخروج على الحاكم الكافر، ووجوب خلعه، وتنصيب إمام مسلم، يحكم بما أنزل الله. ولقد وجدت إجماعا بين علماء السلف على ذلك، وفتاوى معاصرة لبعض العلماء تلحق حكم السادات بهذا النوع من الحكام.

وهكذا كانت بداية فهمى لقضية الخروج على الحاكم، والتى اعتقدت صوابها شرعا، واقتنعت بصحة موافقتها للواقع أيضا. ثم كانت الجذور الدينية هى العامل الأول وراء التزامنا

بالعلم للدين، والجهاد فى سبيله. وأقصد بالجذور الدينية، الفطرة السوية التى فطرنا الله عليها، كما قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة"

كنا قد انتهينا من وضع الإطار العام للخطة، ولكن التخطيط التفصيلى للعمل فى مجال القتال لم ينته وضعه فى قطاعات عديدة، حيث إن ذلك كان يتطلب جمع مزيد من المعلومات لم تكن متوفرة فى ذلك الحين. وبالطبع كان هذا الأمر سيستغرق وقتا ليس بالقليل. أما فى الجانب التدريبى، فلقد كانت هناك خطة تدريب ذات ثلاثة مستويات. يتدرج فيها الفرد من المرحلة الأولى، وهى التدريب النظرى على المواد الثقافية العسكرية والأمنية، إلى مرحلة التدريب على السلاح وأعمال النسف والتدمير، ثم التدريب التكتيكى على العمليات الخاصة كمرحلة ثالثة، تمهيدا لدخوله على خطة العمليات التى يتم فيها تدريبه على دوره المنوط به فى الخطة العامة بشكل غير مباشر، لنصل به إلى مستوى الاتفاق، الذى يمكن معه أن ينفذ المهمة الخاصة به، عند بدء العد التنازلى باتجاه ساعة الصفر.

وبالفعل قام كل من الإخوة نبيل المغربى وعلى الشريف وأبو بكر عثمان وآخرين بتنفيذ بدايات هذا الشق التدريبى لمجموعات الجماعة وخلاياها التنظيمية.

وحدد عبود الزمر تسع محاور للخطة، التي وضعت في مارس وهى أولا.. استراتيجية الدعوة إلى الله تعالى، وفيها تتجلى حقيقة الدعوة إلى دين الإسلام. فلقد كانت الجماعة تهتم بنشر الدعوة الإسلامية، ليس فقط لمن وقع عليهم الاختيار للعمل التنظيمى، بل للناس كافة. ولقد اهتدى -بفضل الله- كثيرون للإسلام على يد قادة الجماعة، وأسلم من النصارى العديدون، كثمرة لتلك الدعوة.

ثانيا .. استراتيجية التحرك الانقلابى المفاجىء، وكانت تتلخص فى إعداد العدد والعدة، اللازمين لإحكام السيطرة على الأهداف الحيوية فى البلاد، وشل قدرة ومقاومة الجهات الأمنية المختلفة. وفى سبيل تنفيذ الاستراتيجية، تم اتخاذ ترتيبات إنشاء الهيكل التنظيمى المقاتل القادر على الحسم فى خروج عام راجح.

ثالثا .. استراتيجية تجميع الجهود والطاقات العاملة فى الساحة، لصالح الخطة. وتنطلق هذه الاستراتيجية من قاعدة إسلامية واجبة، وهى التعاون على البر والتقوى، فليس هناك مبرر للفرقة. أما أصحاب العقيدة الواحدة، والتصور الحركى الذى يتسع لتنوع أساليب العمل، طالما كانت مشروعة. وبالفعل كانت الجماعة تسعى للوحدة مع كل من اتفق معها

.كذلك تضمنت هذه الاستراتيجية أفكار التحالف، والتعاون مع فصائل العمل الأخرى، تحقيقا لمصلحة الإسلام، واختصارا للطريق إلى إقامة الدولة المنشودة، التى تسعى جميع فصائل العمل الإسلامى إلى إقامتها، وإن اختلفت الأساليب.

رابعا .. استراتيجية الردع والنصرة، وهى تلك الاستراتيجية التى أرست من خلالها الجماعة قواعد ومبادىء نصرة المظلومين قدر استطاعتها، وكذلك الدفاع عن جسد الحركة. ولقد استخدمت هذه الاستراتيجية عندما وقعت أحداث الزاوية الحمراء.

خامسا .. استراتيجية التحرك الاضطرارى، أو الطارىء. وفيها يتم الإعداد للدخول فى معركة من وضع استعداد معين، تكون فيه الجماعة قد وصلت إلى حجم من القوة، يمكن أن تجرى تحركا قويا فى الظروف الاضطرارية، التى قد يفرضها العدو على الجماعة، وذلك بتوجيه ضربة إليها. فليس من المعقول أن تكون الجماعة قد حققت نسبة استكمال ٩٠٪ مثلا من العدد والعدة، ثم تستسلم دون مقاومة بدعوى أنها لم تكن قد اكتملت للخروج العام. ومن هنا كان التفكير فى وضع هذه الاستراتيجية حتى لا تضيع جهود المسلمين سدى.

سادسا .. استراتيجية الوقاية من ضربات العدو المفاجئة.

وهى تتلخص فى حماية الجماعة من مخاطر الهجمات الأمنية الرامية إلى اعتقال أعضائها. ولقد انبثق عن هذه الاستراتيجية العديد من الخطط فى مجالات التأمين ضد الاخترقات، وكذلك تحقيق الإنذار المبكر للجماعة بالاختراقات المضادة فى أجهزة الدولة، وأيضا تجهيز خطة انتشار سريع إلى أماكن تبادلية لجميع العناصر، حيث يمكن من خلالها القيام بالأعمال المطلوبة طبقا للمستوى الذى تقف عنده الجماعة.

سابعا .. استراتيجية تحريك الجماهير المساندة للثورة. وكانت هذه الاستراتيجية تقوم على أساس تهيئة الجماهير للتفاعل مع الثورة فور إعلان البيان الأول، وجذبها نحو النزول إلى الشوارع، وتحريكها فى اتجاهات معينة، لتثبيت أركان الثورة، وقطع الطريق على من تسول له نفسه من عناصر داخلية بإجراء تحرك مضاد، أو من الدول الأجنبية، التى لا يمكنها التدخل أمام حركة شعب، بخلاف احتمال تدخلها ضد انقلاب محدود.

ثامنا .. استراتيجية التحول إلى الخطط البديلة. لقد كان من الطبيعى أن يكون هناك احتمال لفشل الخطط الأصلية عند التحرك، وبالتالى فإن البحث عن استراتيجيات بديلة للتحول إليها، بهدف الوصول إلى ذات الغاية، وهى إقامة الدولة

الإسلامية. ومن هنا كانت تلك الاستراتيجية التى تعالج الجمود أو التدهور ، الذى قد يصيب الخطة العامة الأصلية أثناء تنفيذها، وهو نوع من المناورة العسكرية، لاستعادة زمام المبادرة، بخطط أخرى تفتح آفاقا جديدة أمام العمل القتالى الذى فترت همته.

تاسعا .. استراتيجية الاستفادة من التناقضات الدولية والإقليمية. وتلك قضية معروفة، وضعت لها الجماعة حساباتها السياسية، تحقيقا لمصلحة الإسلام، وفى حدود المصلحة الشرعية المعتبرة، التى لا ينبغى أن تضطرب فى ظل أى نوع من أنواع التوازنات الدولية، ولكنها مسألة جوهرية، لا يمكن إغفالها فى عالم اليوم، الذى هو أشبه بالغابة الموحشة. كما إن الجماعة لم تكن قد وصلت إلى ١٠٪ من المقرر وفقا للخطة، وأن تحركاتها فى أحداث ١٩٨١ كانت فى حدود تلك الإمكانات، وكنت اقول "إننى أوكد أن الخطة الأصلية لم تختبر، ولم توضع فى ميزان الاختبار الحقيقى الذى يمكن أن نقول فيه إننا خضنا مشروعا كاملا للتغيير. لقد كان من المتوقع الانتهاء من ذلك المشروع خلال عام ١٩٨٤ ، حيث تكتمل جوانب الخطة.

لقد كنت أعيش مشكلة تطبيق الفكر على الواقع .. قناعتى الكاملة أصبحت باتجاه الخروج على النظام الحاكم، وقتاله،

وخلعه، وتنصيب إمام مسلم، يحكم بما أنزل الله تعالى. وفى نفس الوقت أجد أن بقائى بالقوات المسلحة يعرضنى إلى احتمال أن أكون فى قتال ضد الشعب المسلم فى مصر .. وفى هذه الآونة دبر الأخ طارق الزمر لقاءً مع الأخ محمد عبدالسلام، تحدثنا فيه عن العمل الجهادى، ووجدت أن حديثه يتسم بالموضوعية والبساطة فى عرض فكره، والتجرد على المستوى الشخصى .. وكان معه من الأدلة ما جعلتنى أستريح تماما للبقاء داخل القوات المسلحة إلى حين يأذن الله بعمل إسلامى كبير. وانتهى هذا اللقاء بقناعة جماعية تامة.. لابد من الجهاد، وأنه لا مجال ولا أمل للحركة الإسلامية إلا بالجهاد. وفي لقائنا الثاني قابلت كرم زهدى أمير مجموعة الصعيد، وتم الاتفاق خلال هذا اللقاء على تصورات وخطط العمل فى المجالات المختلفة. وبعد ذلك التقى أعضاء مجلس شورى الجماعة بالدكتور عمر عبد الرحمن، وعرضوا عليه الإمارة العامة. ولكنني عارضت قرار اغتيال السادات قبل خمسة أيام من تنفيذ العملية، حيث التقيت بطارق الزمر على مقهى التحرير بشبرا، وعلمت منه أن خالد الإسلامبولي قد تم اختياره ضمن قوات العرض العسكرى، وأنه عرض استعداده لتنفيذ عملية المنصة على محمد عبد السلام، وأن قيادات الجماعة بالوجه القبلى قد حضرت، وباركت، وأعربت عن

استعدادها لتحرك مصاحب فى أسيوط، وأن عبد السلام طلب الإمداد بالإمكانات. وهنا أبديت للأخ طارق الزمر عدم قدرة الجماعة على إجراء تحرك شامل لإسقاط النظام القائم، لعدم اكتمال الخطة. ثم انتهت المقابلة على أساس تحديد لقاء مع خالد للاطلاع على خطته، حيث كنت أشعر بصعوبة التنفيذ. ولقد أرسل لى طارق بعد ذلك بأن أذهب إلى قرية "برنشت بمركز العياط"، ثم يرسلوا فى إحضار خالد. ولكنى لم أوافق على المكان المختار، لكونه يستلزم مرورى على عدة نقاط تفتيش فى الطريق، وفضلت أن أرسل ما أريده مكتوبا. ولكن خالد كان قد دخل إلى العرض، و لم تصله أى نصائح منى. لقد كان خالد فى غنى عنها، حيث إن الخبرة التى اكتسبها من خلال اشتراكه فى العروض السابقة ،كانت كافية تماما للتعرف على كل إجراءات الأمن، وما بها من سلبيات وثغرات. ولقد كان عدائى للسادات لانه أبى أن يحكم بالإسلام، وارتضى القوانين الوضعية الباطلة المأخوذة من هنا وهناك، واستهزأ بالحجاب الشرعى للمرأة المسلمة وقال عنه "إنه خيمة". ثم إنه لم يقف عند حد هذه القضايا التى يكفر مقترفها بإجماع الفقهاء، بل أسرع إلى مسيرة الاستسلام لليهود، وعقد المعاهدة الآثمة التى أجهز فيها على القضية الفلسطينية، وأغلق الباب أمام قتال اليهود — الواجب - لاسترداد أرض الإسلام

السلبية. ولقد ارتكب السادات من أفعال الظلم والجور والفسق الكثير والكثير، فلقد سجن الأبرياء من أبناء الشعب بقرار التحفظ، وسب العلماء وهم ورثة الأنبياء، وفتح الأبواب أمام السياحة إلى أقصى مدى، وفسدت معه الأخلاق، وأنفق الأموال على حاشيته، وعلى استراحاته وقصوره. هذا ولقد وصلت به الحال إلى ترك الحبل على الغارب لزوجته، لتزاول نشاطها المشبوه فى نوادى الروتارى، والليونز، والماسونية العالمية. وكذلك لا ننسى كيف إنه قتل الأخ الشهيد صالح سرية، والأخ الشهيد كارم الأناضولى، ثم إنه دفع بالقوات المسلحة المصرية إلى توجيه ضربة عسكرية ضد ليبيا، ولم يكن ذلك فى الاتجاه الصحيح الذى يجب أن توجه فيه القوات المسلحة، بل كان ذلك للانتقام الشخصى المحض وتصفية الحسابات ..

أليس يحق لنا بعد ذلك كله أن نختلف مع السادات جذريا، بل ونناصبه العداء، ونخرج عليه ونقتله؟

وعن مطاردتي من قبل الأمن قبل اغتياله، انتقلت في تلك الآونة بين العديد من بيوتات الإخوة، لحين تدبير شقة مستقلة أستقر فيها. وسمعت خطبة السادات فإذا به يقول "الولد الهارب بتاع يوم الجمعة انا مش هرحمه" لقد أكد لى بعض أخوانى أن

هذا الكلام موجه لى، فقلت فى نفسى إننى لا أنتظر منك رحمة يا سادات، إنما الرحمة من عند الله. لقد كان فى كلام السادات استفزاز واضح، يؤكد نواياه فى البطش بنا جميعا، وعلى الجانب الآخر حاولت أجهزة أمن الدولة بالقول اللين أن توصل إلىّ معلومات تفيد بأننى لو سلمت نفسى للمجموعة «٧٥» ، فسوف يتم احتواء المشكلة. وبالفعل وصلت إليّ تلك الكلمات، ولكننى كنت أعلم أن الموقف قد خرج عن حدوده، وبالتالى أدركت أن المسألة لا تعدو كونها مناورة للقبض علىّ، فلم أعر ذلك الموقف اهتماما، وكان التصميم على المواصلة والاستمرار هو الذى يسيطر على تفكيرى تماما.

وفي ٢٥ سبتمبر ١٩٨١ ، وقبل عودتى لمنزلى بالجيزة ،كنت فى لقاء مع كل من الأخ كرم زهدى، والأخ عاصم عبد الماجد، والأخ طارق الزمر، والأخ فؤاد الدواليبى، والأخ عصام الروشة، والأخ صالح جاهين بقرية "صفط اللبن" . أتى الأخ أمين عيسى، وكان يعمل بمديرية الأمن بالجيزة، خرج الأخ صالح لملاقاته، وعاد بعد قليل ليقول إنه أخبره بأنه يجرى الآن تجهيز حملة كبيرة بمديرية أمن الجيزة، وأن هذه الحملة تشبه تلك التى خرجت ليلة التحفظ، وأنه رأى من واجبه إبلاغ هذا التحذير لنتخذ احتياطاتنا

.

بالطبع أنهينا الاجتماع، وقمنا ليذهب كل منا إلى مكانه. وكان هناك احتمال عند البعض أن تكون هذه الحملة موجهة للتنظيم، لكنها كانت مجرد احتمالات. انصرفت عائدا بسيارتى إلى الجيزة، بينما مضى طارق بدراجة بخارية من طريق آخر. وما أن دخلت إلى ميدان الجيزة، حتى فوجئت بمن يستوقفنى، وينبهنى إلى أن بيتى يفتش من مباحث أمن الدولة. استدرت على الفور، وعدت أدراجى، وقد بدا واضحا أن تحذير أمين كان فى موضعه.

بعدها بقليل وجد طارق الزمر من يستوقفه أيضا، ويطلب منه ألا يذهب للشقة، وأن هناك قوة من الشرطة قد هاجمتها، قبل أن ينصرف طارق عائدا ..

وحول وفاة أحمد بدوى - وزير الحربية الأسبق - كثر اللغط، لكن بالرغم من اختلافى الجذرى مع السادات ونظام حكمه، فإننى أؤكد أن السادات برىء من دم أحمد بدوى ورفاقه، الذين قتلوا فى حادثة الطائرة. إن الفريق سعد الدين قد غبن بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣، وقال "السادات كان يمكنه حل الخلاف مع رئيس أركانه بشكل من الحكمة دون أن يصل الأمر إلى ذلك الذى حدث، ولكنه السادات آخر الفراعنة - كما كان يسمى نفسه- ذبح مجهودات الفريق الشاذلى فى

الإعداد والتحضير للمعركة، وفى الأيام الأولى للقتال، ليظهر فى ثوب المنقذ للانتصارات من الضياع. وكنت أتصور أن هذا الدرس للفريق الشاذلى يكفيه طوال حياته، فلا يسقى غيره من نفس الكأس البغيضة التى تجرعها على يد السادات؛ ولكنه فعل. والحقيقة إننى لم أستمع إلى ما قاله الشاذلى مباشرة من المذياع، ولكن حينما توصلت إلى عنوان فضيلة الدكتور عمر عبد الرحمن، وذهبت إليه مغرب اليوم السادس من أكتوبر، وكان هذا هو أول لقاء بيننا بعد التحفظ، فوجدته قد سجل على أحد أشرطة الكاسيت ما قاله الشاذلى. فلما أسمعنى إياه قلت له لا.. وقصصت عليه القصة. وأذكر أن بيان الشاذلى كان فيه تحريض للقوات المسلحة على التحرك، حيث إن قتل السادات فى المنصة أضفى على العملية صبغة التحرك العسكرى الانقلابى، مما جعل الشاذلى يبادر بإصدار توجيهاته إلى القوات المسلحة، لكنها لم تستجب لندائه.

والتنظيم خطط لمحاولة ضرب جنازة الرئيس السادات بالقنابل، حيث إن أعداء الإسلام من قادة اليهود قد جاءوا إلى القاهرة لتشييع جثمان صديقهم الحميم. وهنا طرأت الفكرة استمرارًا لحالة التصعيد القتالى، وأحداث الفراغ السياسى. لقد كان من المقرر أن تسير الجنازة من كوبرى القبة فى شارع

الخليفة المأمون إلى النصب التذكارى. فكان من الضرورى وضع خطتين .. إحداهما رئيسية وهى تتلخص فى دفع الأخوين سيد عبد الفتاح ورفاعى صادق - والأخير قتل تحت وطأة التعذيب بسبب هذه العملية - حيث يتنكر كلاهما فى زى عمال بناء يحملون أدواتهم، وفى وسطها يخفون قنبلتين يدويتين، وبمجرد وصول النعش إلى المنطقة أسفل العمارة يتم قذف القنابل.. أما الخطة الاحتياطية فكانت تتمثل فى دفع الأخ عادل شحته، بحمل قنبلة يدوية مثبتة على ساقه، ويعمل بنظام الكمين المتحرك، حيث يتابع حركة الهدف، ويندس وسط الجمهور على جنبى الطريق، ليلقى قنبلته حينما يدخل الهدف فى مرماه. وكان الغرض من الخطة الاحتياطية هو ملاحقة الهدف إن غير خط السير، أو انكشفت المجموعة الرئيسية فى أى تفتيش محتمل لأسطح العمارات المطلة على طريق الجنازة.

ولكن إلغاء خط سير الجنازة، وإغلاق الطرق المؤدية إليها، والاقتصار على تشييع النعش فى منطقة النصب التذكارى، ووصول المشيعين بالطائرات من المطار إلى منطقة الدفن رأسا، حال دون تحقيق أى من الخطتين ..

لقد كانت الجنازة وجبة أشهى من المنصة طبعا .. لقد كان بها الإرهابيان بيجين وشارون.

وفي يوم ١٣ اكتوبر ١٩٨١ كنت اجتمع مع طارق الزمر، وعبد الله سالم، وناصر درة، ومحمد البرعي. دخل الليل علينا، وغلبنا النعاس بمن فينا المجموعة المكلفة بالحراسة. استيقظت، لأجد اثنين من الضباط فوق رأسي، فسحبت مسدسي، وأطلقت النار عليهما، فأصابت أحدهم، وتراجع الآخر إلى خارج الشقة. أمرت رفاقه بأغلاق المنافذ، وسمع الجميع تهديدًا من قائد القوة المكلفة بالقبض علينا، رددت بطلقات من البندقية الآلية، واستمر تبادل النار بين الجانبين ثلاث ساعات متواصلة، أصيب أثنائها طارق الزمر، ونزف بشدة حتى إننا ظننا أنه أشرف على الموت. وفي نفس الوقت نفذت الذخيرة، كثف رجال الامن طلقات النار على الشقة، أدركت أن الأمر حسم، فطلبت تسليم طارق أولًا.

اقتادت القوة المجموعة كلها إلى مقر وزارة الداخلية بلاظوغلي، وصل الوزير للتأكد من العملية، ثم أمر بترحيلنا إلى سجن القلعة. وفي صباح السبت الموافق ٦ مارس ١٩٨٢ صدر الحكم في القضية رقم ٧ لسنة ١٩٨١ أمن دولة عسكرية عليا بإعدام الملازم أول خالد أحمد شوقي الإسلامبولي، وعبد الحميد عبد السلام عبد العال علي، وعطا طايل حميدة رحيل، ورقيب متطوع حسين عباس محمد، و محمد عبد السلام فرج عطية. وبالأشغال الشاقة على المقدم عبود عبد اللطيف حسن الزمر، و

طارق عبد الموجود الزمر. وبسجن كل من كرم زهدي، وفؤاد الدواليبي، وعاصم عبد الماجد، وأسامة إبراهيم حافظ. فيما قضت المحكمة ببراءة الدكتور عمر أحمد علي عبد الرحمن. وتم تنفيذ حكم الإعدام في حق الإسلامبولي، وباقي المتهمين الصادر ضدهم حكم الاعدام في ١٥ / ٤/ ١٩٨٢ .

وتمنيت اللحاق بهم، وشعرت أنهم انتزعوا قطعة مني. تنميت أن ألحق بهم شهيدًا .

ثم صدرت أحكام جديدة على عبود ،وطارق، وباقي تنظيم الجهاد في القضية رقم ٢٣٥٩ وفي لسنة ١٩٨٢ جنايات عابدين المعروفة بقضية الجهاد الكبرى، والتي ضمت أيمن الظواهري، وعصام القمري، وسيد إمام، وكرم زهدي، وناجح ابراهيم و٣٠٢ متهما. حكم فيها على عبود بالمؤبد، وعلى طارق بـــ١٥ سنة سجن ...

طفنا "عبود وطارق" بعد الحكم العديد من السجون طوافا مرتبطا بمواقفنا السياسية، فمن السجن الحربي، لسجن طرة، لسجن أبو زعبل لاستبعادهما من مفاوضات مبادرة وقف العنف ثم إلى سجن وادي النطرون وأخيرا سجن دمنهور .

خلافات الجهاد داخل السجن

وخلال قضاء المتهمين في قضية الجهاد فترة سجنهم، برزت خلافات بينهم. تناقشوا في قضيتين الأولى قضية اغتيال السادات، وكان هناك إجماع على ضرورة حصولها. أما الخلاف فنشأ عن إن جماعة الجهاد "أي المجموعة التي تتبنى أفكار الجهاد" كانت ترى أن الاعتداء على مديرية الأمن في أسيوط، واحتلالها عمل عشوائي غير مخطط له، وكان عبارة عن رد فعل أسال دماء ما كان ينبغي أن تسال، فحصل خلاف بينهم.

كان هذا أحد خلافين في السجن، أما الخلاف الثاني، فكان على إمارة الشيخ عمر. ففريق كان يرى أن الشيخ عبود الزمر، باعتباره رجلًا عسكريًا، ومقدمًا في جهاز المخابرات، ولديه صفات القائد - وهي الحواس ومن ضمنها البصر خصوصًا- هو الأصلح ليكون أميرًا. في حين اختارت مجموعة الصعيد الشيخ عمر.

أثناء هذا الخلاف جلس فريق كأنه على الحياد، وفجأة فجر الرائد عصام القمري قضية شرعية، لم تكن متوقعة منه هو بصفته عسكريًا. إذ جلس القمري، وقال لهم إنه لا تجوز ولاية الضرير. وقال إن عبود الزمر هو الأمير. وهنا حصل

الانفصال: مجموعة الهرم وبحري اختارت عبود الزمر، والمجموعة الأخرى اختارت الدكتور عمر عبد الرحمن.

حصل الانقسام، وبقي كل منهم يعمل ضمن جماعة مستقلة، جماعة الجهاد بقيادة عبود الزمر، والجماعة الإسلامية بقيادة الشيخ عمر عبد الرحمن. وقد حاول بعض الناس أن يصلحوا بين الطرفين، ويوحدوهما؛ ولكن دائمًا كانت تبوء المحاولات بالفشل لأسباب كثيرة ..

وبعد اندماج الجهاد بالقاعدة، حدث ارتباط بين عبود وطارق والجماعة الإسلامية، وصارا عضوين بمجلس شوراها. ولم يكن لذلك تأثير سلبي سوى على أفراد قليلين من تنظيم الجهاد، معروف عنهم افتقاد هدف التأليف بين فصائل العمل الجهادي. بينما صار عبود وطارق رمزين للحركة الإسلامية الجهادية، بشتى فصائلها، التي تتحالف على العمل الجهادي، رغم ما يمكن أن يقع بينهم من خلاف في مسائل أخرى.

وكان لعبود الزمر دورًا مهما في المفاوضات، التي حاولت الدولة أن تجريها مع الجهاديين، عقب اندلاع أعمال العنف نهاية الثمانينات، ومطلع التسعينات. حيث فى ديسمبر ١٩٩٢ تحركت سيارة إسعاف من أمام سجن طرة، لم تتوجه السيارة إلى المستشفى لنقل سجين مريض؛ لكنها توجهت إلى

شارع الجلاء بوسط القاهرة، وتوقفت أمام مصلحة السجون، ليترل منها أشهر سجين سياسي في مصر: المقدم بالمخابرات الحربية عبود الزمر، المخطط الرئيسي لحادث اغتيال الرئيس السادات، محاطًا بحراسة مشددة. وبالداخل، فوجئ الزمر – بحسب ما أوردته تقارير صحفية حينها- بالشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله يعرض وساطة لإنهاء التقاتل بين الدولة والجماعة الإسلامية.

اللقاء -الذي كان يتابعه اللواء محمد عبد الحليم موسى وزير الداخلية حينها صوتا وصورة- وعد عبود خلاله بوقف كل أشكال العمل المسلح داخل مصر، مقابل إفراج الدولة عمن يحكم القضاء المدني بإخلاء سبيله من أعضاء الجماعات الإسلامية، مع تركهم يزاولون أنشطتهم المسموح بها في إطار القانون والدستور.

لم تمر أيام حتى جاء الرد على هذا العرض سريعا. حيث داهمت قوات الأمن منازل أعضاء الجماعة بإمبابة، واعتقلت المئات منهم. أيقن حينها عبود أن المفاوضات فشلت، وأقيل عبد الحليم موسى بعدها بشهور قليلة، واستمرت عمليات العنف في مدن مصر

وفي ٥ يوليو ١٩٩٧ ، فاجأ محمد أمين عبد العليم -عضو الجماعة الإسلامية، المتهم على ذمة القضية العسكرية رقم ٥٦ لسنة ١٩٩٧ - وسائل الاعلام بتلاوة بيان في قاعة المحاكمة. دعا فيه قيادة الجماعة الإسلامية إلى وقف العمليات العسكرية، والبيانات المحرضة عليها من جانب واحد، ودون قيد أو شرط، وذلك لمصلحة الإسلام والمسلمين، فيما عرف حينها بمبادرة وقف العنف.

كان من بين الموقعين على هذا البيان عبود وطارق الزمر، فضلًا عن باقي أعضاء مجلس شورى الجماعة. أعقب ذلك البيان صدور كتب المراجعات، التي حملت أسماء معظم قيادات الجماعة باستثناء عبود وطارق.

أثارت مراجعات الجماعة الإسلامية، وما يصدر عن قيادها من بيانات وتصريحات بشأن العديد من القضايا، جدلًا واسعًا في أوساط المراقبين والمتابعين. غير إن اللافت كان اختفاء اسم عبود وطارق الزمر من تلك المراجعات. كما لم يشاركا فى مراجعات الجهاد (وثيقة ترشيد العمل الجهادي لصاحبها سيد إمام) علما بأنهما أصدرا أكثر من بيان، يؤكد دعوتهما لوقف العمل المسلح فى مصر، ولكن تختلف تلك التصورات من فصيل لآخر.

وموقف عبود من مراجعات الجماعة الإسلامية،التي أطلقتها نهاية التسعينات، واضح من خلال الاطلاع على تلك المراجعات، ومقارنتها ببرنامج عبود للانتخابات الرئاسية ٢٠٠٥ ، وكتاب "مراجعات لا تراجعات" لطارق الزمر. ورغم كون عبود وطارق أعضاء بمجلس الشورى للجماعة، إلا أن لهما رؤيتهما التي يلمس المتابعون تميزها بخصائص.

أما عن مراجعات سيد إمام، فهما لم يشاركا فيها أو تعرض عليهما لإبداء الرأي.

كان كل الجهاديين لديهم تصور لمرحلة جديدة مستوعبا نتائج تجربة الصدام مع الدولة، وهذا ما جعل إخراج وثيقة البديل الثالث، لتوضيح موقفهم من المراجعات الأخيرة التى كتبها سيد إمام الشريف فى عام ٢٠٠٧، واختاروا لها عنوانا: "وثيقة البديل الثالث بين الاستبداد والاستسلام" تحمل رؤية عبود وطارق الزمر في المراجعات، والعديد من القضايا المحلية والدولية ،كالإصلاح السياسىن والتعددية الحزبيةن وتصورهما للدولة الإسلامية، والحرب الدولية على الإرهاب، والموقف من عمليات القاعدة، وطرح جماعة الأخوان المسملين، والعلاقة مع أمريكا وإسرئيل وإيران وحزب الله، وكذلك موقفهما من اتفاقية كامب ديفيد، التي كانت أحد الأسباب التي دعت إلى

التفكير في اغتيال الرئيس السادات.

المراجعات التى يدعو إليها آل الزمر أن الواجب على كل جماعة أو حركة أن تراجع أعمالها، وتنظر فى مسيرتها بعد كل دورة من دورات العمل، لتقف على مدى التزامها بمرجعيتها، ومدى مطابقتها، ومدى تحقيقها لأهدافها، وهو واجب على الفرد كما إنه واجب على الجماعة، بمقتضى قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد" ،كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم» وفى ضوء المراجعة، يلزم احترام نتائجها ،كما يلزم التصويب وإعادة ترتيب الأوضاع فى إطار المرجعيات والخطط والأهداف..

لهذا، فقد جاء قرار الدعوة إلى وقف العمليات المسلحة فى مصر بعد دراسة شاملة لنتائجه، وكذلك دراسة التحديات الجديدة التى أحاطت بالمنطقة الإسلامية، فى ضوء التحولات الدولية الأخيرة، وبعد دراسة أثر ذلك على مستقبل الصحوة الإسلامية.

كما جاء هذا القرار فى ضوء تحول العمل المسلح إلى عبء على العمل الإسلامى، وبعد أن أصبح الاستبداد هو المستفيد

الأول من استمراره، لذا فقد أصبح وقف العمل المسلح هو أحد السبل لتفويت الفرصة على السلطات، التى استغلته لتكريس استعدادها وتدشين قوانينها الاستثنائية، فضلا عن محاصرة الحركات والأحزاب السياسية، وتطوير سيطرتها على المجتمع، وثرواته.

كما أن الدعوة إلى وقف العمليات المسلحة تتأكد من خلال الآتى:

- وصول عمليات التغيير المسلح داخل المجتمعات الإسلامية إلى طريق مسدود، ونتائج سلبية، تضررت منها الدول والجماعات على السواء

- إن هذه العمليات قد أدت فى بعض الدول إلى محاذير شرعية خطيرة، فرضتها طبيعة القتال داخل المجتمعات الإسلامية

- تحول هذه العمليات فى الغالب إلى مجرد عمليات للدفاع عن النفس، أو لإثبات الحضور فى حدها الأقصى، دون أن يرتبط ذلك بأهداف إسلامية عليا، أو مقاصد شرعية عامة.

- إن الرؤية الشاملة والنظرة المتفحصة فيما يجرى على الساحة الدولية ومساحة الاتجاهات الإسلامية توضح أن العمليات العسكرية قد تحولت إلى أعمال عشوائية أو استجابة

لاستفزازات مخططة، وهو ما يجعلها تضر أكثر مما تفيد.

وأهداف المراجعات التى يدعوان إليها فى ضوء ما سبق هي وجوب أن تتضمن الدعوة إلى المراجعات بعض الامور وهي:

١- تأسيس رؤية إسلامية جديدة للتعامل مع المستجدات الكبرى والتحديات الجسام ،وترتيب الأولويات، والتعامل مع آليات ووسائل جديدة تتلاءم مع مشكلات وتعقيدات الواقع الجديد.

٢- تهيئة الأوضاع داخل مجتمعاتنا لمناهضة ومقاومة مشاريع التغريب والإلحاد، والمشروع الأمريكى - الإسرائيلى، تلك المشاريع التى لاحت فى أفق منطقتنا.

٣ - بناء موقف موحد بالمشاركة مع كل المعنيين بالشأن العام فى بلادنا، قادر على الدفاع عن ديننا وهويتنا وأوطاننا، ومواجهة التحديات التى أفرزتها التحولات الدولية الأخيرة والتطورات التى تمر بها المنطقة.

٤ - إعطاء الفرصة للأنظمة السياسية بالعالم العربى والإسلامى كي توفق أوضاعها وتوقف حربها على الصحوة الإسلامية، تلك الحرب التى لا تخدم إلا مخططات القوى الأجنبية التى تسعى إلى تحويل مجتمعاتنا إلى ساحة لصراع مفتوح.

٥ - العمل على تحويل هذه المراجعة إلى نظرية عمل متكاملة، تتعامل مع كل معطيات المرحلة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على جميع الأصعدة المحلية الدولية والاقليمية، نظرية تؤمِّن مسيرة الدعوة، وتشق طريقا للعمل، وتفتح أبواب العمل التطوعى والخيرى، وتوفر المناخ لتعليم الشباب أمور دينهم وتستثمر كل الطاقات المتوافرة لصالح إعادة بناء الأمة.

وعلى هذا، فإن المراجعة لا تعنى التراجع عن الأهداف العليا للصحوة الإسلامية، أو التراجع عن الواجبات الرئيسية للعمل الإسلامى، لأنها تعاملت، فحسب، مع الأساليب والوسائل التى تبين وقوع المبالغة فى تحقيق مناطها، أو اتضح عدم ملاءمتها للواقع.

كما إن المراجعات ليست دليلا على التراجع والضعف، بل هى علامة على القوة والنضج، ودليل على الشجاعة والرشد. كما إنها ليست لمجرد إلقاء اللوم والعقاب على الحركة الإسلامية، دون تسليط الأضواء على الظروف، والملابسات القاسية، والمطاردات المستمرة، والتعذيب البشع، والاعتقال المبرح الذى يتعرض له هذا الشباب.

ولا تعني المراجعات -بأي حال من الأحوال- تأييد علمانية الحكم، أو مظاهر استبعاد الشريعة، فذلك ما لا يسع

مسلم فعله، فضلا عن إن تجربة الحكم العلمانى فى بلادنا فشلت فشلا ذريعا، ووصلت إلى طريق مسدود.

كما إن المراجعات تستلزم وقف اضطهاد التيار الإسلامى، ووقف كل صور الخروج على القانون فى التعامل معه. وذلك لأن الاضطهاد المنظم هو المسئول عن العنف العشوائى، ولا يعني ذلك الانسحاب من المجتمع، أو هزيمة المشروع الإسلامى، أو تأييد الحزب الحاكم.

إن الدعوة إلى وقف كل أشكال الصراع المسلح داخل المجتمعات الإسلامية تؤكد أيضا دعم وتأييد المجاهدين فى كل بقاع العالم الإسلامى، المعرضة للاحتلال، أو العدوان، أو الاضطهاد، لأن تأييدهم واجب كوجوب الصوم والصلاة. ولا تعني المراجعة ايضًا إنهاء الخلاف مع النظام فى السياسات المتبعة، لأن الخلاف حول تطبيق الشريعة لا يزال قائما.

ويمكن رصد أسباب لجوء الشباب إلى العمل المسلح في النقاط التالية :

١ــ التناقص الصارخ، بين الواقع القائم، وبين القيم والأحكام الإسلامية الواجبة يجعل الشباب مندفعا نحو التغيير بحماسه الفطرى، والذى يؤدى إلى تبنى أى وسيلة لتغيير هذا

الواقع، ومهما كانت النتائج المترتبة على هذا التغيير، فليس هناك أسوأ مما هو قائم.

٢ــ وقوف العديد من الحكومات خلف العديد من مظاهر الخروج على الإسلام، بل والعمل على تكريسها فى المجتمع، من خلال وسائل الإعلام والتعليم والثقافة، وبشكل استفزازى وجه العنف نحو الحكومات، وجعلها الهدف الأساسى لعملية تغيير المنكر الاجتماعى.

٣ــ فإذا كانت الفصائل التى تميل إلى العمل المسلح تتميز بأن غالب المنتمين إليها من الشباب، علمنا أن ذلك بالفعل أحد محددات ظاهرة اللجوء إلى العنف فى عالمنا العربى والإسلامى. حيث يكون من أسبابه ميل الشباب إلى المثالية، ومن ثم التطلع الجارف إلى نفى الواقع الآسن، واستحضار العالم المنشود. فضلا عن ميل الشباب - بطبيعة تكوينه - إلى استخدام القوة فى الوصول إلى أهدافه، ولاسيما إذا كانت هذه الأهداف على هذا القدر من الأهمية والإلحاح. وعلى هذا، فهو اندفاع يحركه الإخلاص وإن قصر به «الفقه»، ومن ثم يصبح اتهام هذا الشباب بالعمالة الخارجية، أو التطلع للسلطة هو اتهام غوغائى يفتقد إلى أدنى شروط الموضوعية.

٤ــ تذرع الحكومات بالعديد من الحجج الواهية

بشأن عدم تطبيقها لأحكام الشريعة الإسلامية، أو الزعم بأن قوانينها بالفعل لا تخالف أحكام الشريعة، كل ذلك يسقط عنها المشروعية الإسلامية، ويجعلها محل سخرية الشباب.

٥ـ تآكل دور المؤسسات العلمية الإسلامية، التى تحولت إلى مؤسسات تبرير. فإذا ما تجاوزت الدور المرسوم لها ،كان جزاؤها الاستبعاد. وعلى هذا فقد فقدت قدرا كبيرا من قدرتها على مخاطبة الحس الدينى لدى الشباب عامة، فضلا عن قطاعات الإسلاميين، وذلك بعد أن أصبحت صورة علماء الدين المتداولة أضحوكة المجتمعات.

٦ـ مطاردة بعض الحكومات لمظاهر الصحوة الإسلامية، ووضع الحكومات فى موقع الخصم، والذى يريد القضاء على شعائر الدين، لاسيما إذا تجردت هذه الحكومات من الحكمة، وصادرت حق الأفراد فى أداء الشعائر ذات الطابع العبادى.

٧ـ إغلاق منافذ التعبير السياسى، فضلا عن احتكار السياسة بشكل عام من قبل الحكومات، جعل المجتمع فى حالة تهميش قصوى، قابلة للثورة فى كل لحظة. ولهذا، فقد تمحور دور الحكومات حول العمل على تفريغ، أو تأجيل هذه الثورات. وهذه الوضعية تعد من العوامل المهمة، التى تؤهل أى تيار سياسى للثورة، حيث لا يسمح له بغير ذلك فى ظل مناخ

عام يتجه نحو ذلك.

٨ ـــ قطع الطريق أمام مظاهر الوجود الإسلامى السياسى بدعاوى وذرائع لا تتمتع بالمصداقية، أو بالالتفاف على شعبية التيار الإسلامى، أو إلغاء نتائج الانتخابات .كل ذلك يعد سندا قويا يستند إليه أصحاب التيار المسلح، حيث يصبح اضطهاد التيار المسلح، والعمل على محاصرته، بل وإهانته سببا رئيسيا فى لفظ هذا الاتجاه، فضلا عن افتقاد أصحاب التيار السياسى إلى تأصيل فقهى يدعم توجههم، ويجذب إليه أصحاب الخيار المسلح.

وفى هذا الإطار جاء إلغاء نتائج الانتخابات ١٩٩١، التى فازت بها جبهة الإنقاذ الإسلامية بالجزائر، ليضع علامات استفهام كبرى أمام الحل الديمقراطى فى عالمنا العربى والإسلامى، ويفقد الثقة فى الخيار السياسى، وفي المعايير الديمقراطية الدولية. حيث اعتبرت الولايات المتحدة أن تعيين الرئيس بوضياف هو عملية انتقالية دستورية ،كما اعتبر وزير خارجية فرنسا أن وصول الإسلاميين للحكم فى الجزائر سيكون لها عواقب وخيمة على المنطقة بأسرها.

ويمكن الوقوف على حجم الجناية الدولية المرتكبة بحق الشعب الجزائرى وقيم الديمقراطية،إذا راجعنا الأسئلة

التى وُجهت للخارجية الأمريكية - عند استجوابها بالكونجرس - بشأن موقفها من إلغاء نتائج الانتخابات الجزائرية. فقد قال النائب هارى جونسون: "نقول دائما بأننا مع الحرية والديمقراطية، فهل نحن مع الحرية والديمقراطية بالجزائر؟". وقال النائب كيرج واشنطن:" أعتقد أن السؤال الرئيسى فى هذا الجدل هو هل نستطيع التوفيق بين دعوتنا للحرية والديمقراطية، وبين فوز الإسلاميين وتوليهم الحكم فى الجزائر؟" .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أعطت الولايات المتحدة الإشارة إلى المؤسسات الدولية المالية لتسوية أوضاع الجزائر المالية وبشكل دائم .. وكأنها مكافأة على إلغاء نتائج الانتخابات التى فاز فيها الإسلاميون بشكل واضح.

٩ـــ الوقوف بقوة أمام كل مظاهر التعبير السياسى الإسلامى، المتضامن مع قضايا الأمة الداخلية أو الخارجية، يضع الحكومات فى موقف الخانق لإرادة الشباب وطموحاته ، كما يضعها فى خندق التحالف الدولى المحارب للإسلام.

١٠ـــ التدخل الاستفزازى، وغير المبرر من قبل بعض الحكومات فى الشئون التعبدية، فى الوقت ذاته الذى تفتح الباب على مصراعيه أمام كل مراكز اللهو والإباحية. فإذا كان هذا التدخل متوافقا مع الإعلان عن ضغوط أمريكية لمحاصرة

النشاط الإسلامى، وتخفيض الحضور الدينى فى المجتمع، فكيف يمكن أن يتلقى الشباب هذه الإشارات؟!.

١١ـــ استخدام بعض السلطات لأشد وسائل القمع والبطش فى تعاملها مع الشباب، سواء فى المظاهرات السلمية، أو فى السجون والمعتقلات.. وفى هذا يجب أن نذكر أن التعامل الهستيرى مع الأخوان، فى الخمسينيات والستينيات، كان أحد مكونات الوعى بضرورة الخروج المسلح لدى جيل السبعينيات. وذلك لأن استباحة السلطات للمجتمع، تفرض تلقائيا استباحة المجتمع للسلطات. كما أن هذا السلوك العنيف كان سببا فى رفض الشباب لدعوة الأخوان السلمية، التى اعتبروها مهادنة فى وقت كان يجب أن تكون كفاحية، ولو من باب الثأر.

١٢ـــ استخدام وسائل الإعلام الحكومى فى التحريض على التيار الإسلامى، وهو ما يتم غالبا بصورة ساذجة، ومفتعلة. والأخطر من ذلك أن تُسخّر هذه الوسائل لخصوم التيار الإسلامى، الذين ينالون - ودون حرج - من أحكام الإسلام الأساسية.

١٣ـــ فشل العديد من الحكومات فى استيعاب العائدين من أفغانستان، وتعاملت معهم وكأنهم أرباب سوابق. فضلا

عن إن وظيفة الدولة التطويرية والاستيعابية كانت توجب استيعاب هذه القوة البازغة دون قهر أو عنف.

١٤ــ فشل جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فى معظم دول العالم الإسلامى، أفقدها قدرا كبيرا من المشروعية، وأسس للعديد من حركات الرفض والاحتجاج القابلة للانفجار فى أى لحظة.

١٥ــ عدم وجود اتجاه لدى كثير من أنظمة الحكم بالعالم العربى لرفع الوصاية عن المجتمع، فضلا عن السماح للحركات الإسلامية بممارسة العمل العام، وارتباك بعض هذه الأنظمة بشأن طرق التعامل مع الحركات السياسية، والحركات الإسلامية على وجه الخصوص.

١٦ــ اتخاذ بعض الحكومات "ضرورة أو اختيارا" مواقف مساندة أو داعمة لقوى دولية تهين المسلمين وتسعى إلى تفويض كل قضاياهم الاستراتيجية.

١٧ــ لقد أسقطت إسرائيل بتزايد نفوذها فى المنطقة، واتساع دائرة انتهاكها للحقوق والشعوب العربية، جزءً مهما من شرعية الحكومات. حيث ينظر إلي تلك الحكومات باعتبارها المسئولة عن كل ذلك، لأنها المسئولة عن التفاوت الكبير فى القدرات والموارد السياسية، إذا ما قورنت

بدولة ناشئة مثل إسرائيل. كما إن عدوان إسرائيل المستمر على شعوب المنطقة - وبالأخص فى فلسطين- قد أهدر هيبة الحكومات وكرامتها أمام الشباب الثائر.

١٨ــ كما قد أصبح التدخل الأجنبى السافر، والخضوع البرجماتى لشروط الخارج من أهم أسباب التعبئة الإسلامية الثورية التى هدمت معادلة الاستقرار السياسى، التى كانت مبنية على الاستقلال السياسى، وعدم الخضوع لشروط الخارج. وعلى سبيل المثال إذا رصدنا فى مصر مدى تصاعد موجات وحركات الاحتجاج منذ كامب ديفيد وحتى الآن، لعلمنا أن النتائج خطيرة.

١٩ــ كما لا يختلف عن الأسباب التى نتحدث عنها، أن مظاهر الغلو الفكرى والعنف السياسى، التى شهدها مجتمعاتنا، إنما ترجع بالأساس إلى استبعاد التعليم الإسلامى، وغياب التنشئة الإسلامية الراشدة من مناهج التعليم والتربية الحكومية. إضافة إلى السلوك المستفز لكل المشاعر الإسلامية، الذى يبدو واضحا فى تفريط الحكومات فى قضايا الأمة، حتى إنها ظهرت فى ثوب الوكيل الرسمى لأعداء الأمة.

٢٠ــ فى الوقت الذى تتعامل فيه السلطات مع كل الحركات الإسلامية على أساس أنها جماعات محظورة،وخارجة

على القانون، فإنها تتغاضى عن الإدارة الكنسية فى مصر، والتى استوعبت كل المؤسسات الخاصة بالنشاط الاجتماعى بين الأقباط، بما جعلها دولة داخل الدولة، وفي بعض الأحيان فوق الدولة!!

وفى الوقت الذى أعلن رأس الكنيسة المصرية مرارا أنه لم يلتزم بأحكام القضاء التى تتعارض مع قوانين الكنيسة، ويكفر من يلتزم بها، نجد الشباب المسلم فى المعتقلات يمتحن فى عقيدته كشرط للإفراج عنه، بعد اعتقال تعسفى دام سنوات، ومن ذلك الامتحان أن يشهد بالإيمان لمن يعطل أحكام الله.

٢١ ــ كما لا يكون بعيدا عن تأجيج عوامل العنف الداخلى رؤية التحالفات الدولية وهى تحشد قواها لمحاربة الإسلاميين فى العديد من مناطق العالم الإسلامى. ومن ذلك ما صرح به أحد الخبراء الأمريكيين، الذى أكد على «أن حركة الجهاد العالمية الحالية هى نتيجة غير مباشرة لتدخل الولايات المتحدة فى أفغانستان».

وهكذا يتضح أن العنف الإسلامى هو بالأساس رد فعل على تجاوزات من قبل السلطات المحلية،فضلا عن عدم امتلاكها رؤية استيعابية، إن لم تكن تسعى فى بعض الأحيان إلى تصعيد المعارك مع التيار الإسلامى،فى محاولة لاجتذاب عطف ودعم

بعض القوى الدولية.

وعلى هذا فإن التحدى القائم أمام مجتمعاتنا اليوم إنما يتمثل فى بناء استراتيجيات ثلاث:

الأولى: إعطاء الفرصة للمبادرات الإسلامية الرشيدة الداعية إلى وقف العنف الداخلى، والتعامل معها بمسئولية وإيجابية كاملة.

الثانية: العمل على إنشاء البيئة المناسبة للتعامل مع التيار الإسلامى، من خلال الاعتراف بوجوده كقوة فاعلة فى المجتمع.

الثالثة: الاعتراف بالمقاومة المشروعة على طول المنطقة وعرضها، والعمل على دعمها ومساندتها، وعدم الخضوع لسياسات القوى الدولية التى تعتبرها حركات إرهابية.

وعلى هذا فإننا نرى .. كما أن التيار الإسلامى مطالب بتطوير رؤية سلمية تتعامل مع المعطيات السياسية المعاصرة، فإن النظم السياسية بالعالم العربى والإسلامى مطالبة هى الأخرى بتهيئة المناخ للقبول بالتيار الإسلامى وأنشطته ،كتيار له رصيد كبير من الشعبية والفاعلية.

ليس من المعقول أن تمد النظم السياسية أيديها لكل الأطراف الخارجية ،وتولى ظهرها لمجتمعاتها

الفصل السادس

سيد إمام الشريف ومراجعات الجهاد ٢٠٠٧



"أريد أن يكتب على قبرى: عاش للسلام .... ومات من أجل المبادىء"

"أنور السادات"

البدايــة الحقيقية للمـراجعــات ....

العام ١٩٩٩ كان الفاصل فى تاريخ الجماعات الإسلامية فى مصر، وبالتحديد "تنظيم الجهاد". حيث بدأ العديد من قادة جماعة الجهاد المصرية في السجون المصرية ما سمي بمراجعات الجهاد، والتي قادها الدكتور سيد إمام الشريف، والذي ألف كتابين لهذا الغرض. الأول سمي "وثيقة ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم"، وتهدف لإقناع قادة وأعضاء الجهاد بالمبررات الشرعية لوقف العمليات المسلحة في مصر والعالم، والكف عن السعي لقلب النظم الحاكمة في العالم الإسلامي. وقد ألف الدكتور أيمن الظواهري كتابا رد فيه على وثيقة الدكتور سيد إمام الشريف، فعاد سيد إمام وألف كتابا رد فيه على كتاب الظواهري.

وما زالت مراجعات الجهاد تتفاعل بين مؤيد ومعارض من قادة التنظيم وأعضائه حتى الآن، في داخل مصر وخارجها. ولكن من المتوقع أن يمثل هذا مخاضا لتغيرات هيكلية فكرية في

قلب تنظيم الجهاد داخل وخارج مصر.

لكن سرعان ما ظهرت تنظيمات عديدة جديدة، تتبنى فكر جماعة الجهاد، بمعزل عن قادة الجهاد القدامى، مما شكل تحديا خطيرا للأجهزة الأمنية. حيث كان ارتباط الأجيال الجديدة من الجهاديين بالقادة القدامى يمثل خيطا مهما لأجهزة الأمن، لكشف المجموعات الجهادية الجديدة. لكن ظهور منظمات ومجموعات جديدة ،كلها ليس لها أي ملفات لدى أجهزة الأمن، ساعد على مفاجأة الأجهزة الأمنية في عمليات تفجيرات طابا فى عام ٢٠٠٤ وشرم الشيخ فى عام ٢٠٠٥، ودهب والأزهر وميدان عبدالمنعم رياض فى عام ٢٠٠٦ ، وتفجيرا الحسين فى عام ٢٠٠٨ ..

ومن الصحيح أنه تم تصفية هذه المجموعات، ولكن بعدما نفذوا عملياتهم، وبعد أن اكتشف الأمن أنه رغم محاربته وقضائه على تلك الجماعات، إلا أن هناك من يؤمن بأفكارها.

كما إن أجهزة الأمن راحت تكتشف من حين لآخر وجود مجموعات جهادية صغيرة، تحمل فكر "جماعة الجهاد المصرية القديمة"، ومن هنا يطرح السؤال نفسه: ما هي رؤية جماعة الجهاد الإسلامية المصرية لوسيلة التغيير، وأولوياته؟ وما الفرق بينها وبين الجماعات الإسلامية الأخرى؟

وتتلخص رؤية جماعة الجهاد للواقع بصفة عامة في أن ضعف المسلمين وتخلفهم يرجع للبعد عن الإسلام بالمفهوم الذي تراه الجماعات السابقة. وهنا جماعة الجهاد لا تختلف عن أي منها، ولكن يأتي الخلاف في استراتيجية التغيير التي تبنتها جماعة الجهاد، والوسائل التي اتبعتها في ذلك. وذلك كله انطلاقا من تصورها عن الواقع السياسي الإسلامي المعاصر..

فلقد تصورت جماعة الجهاد الواقع السياسي الإسلامي في إطار الحديث الصحيح المشهور، والذي تفهم كل الحركات الإسلامية من خلاله ماضي الأمة الإسلامية، وحاضرها ، ومستقبلها، والذي يقول فيه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-

"تكون النبوة فيكم ما شاء الله لها أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون فيكم ما شاء الله لها أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم يكون ملكا عضوضا فيكون فيكم ما شاء الله له أن يكون، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه ، ثم يكون ملكا جبريا فيكون فيكم ما شاء الله له أن يكون، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة " ثم سكت.

فجميع الحركات الإسلامية منذ النشأة، وحتى الآن، تأخذ من ذلك الحديث تشريعها الأول، وتصريحها التى لا

يساويه شيئ. والجماعات الإسلامية ترى أن النبوة المذكورة في الحديث هي عصر حكم النبي للمسلمين، بينما الخلافة على منهاج النبوة تبدأ بعصر أبي بكر الصديق وتنتهي بيوم تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، وأنه من معاوية وحتى بداية العصر العباسي الثاني هو الملك العضوض - أي الظالم - وأما المرحلة الحالية فهي مرحلة الملك الجبري - أي ما نسميه بلغة العصر أنظمة الحكم العسكرية التي تحصل على الحكم عبر الانقلاب العسكري -..

إلى هنا تتفق كل فصائل الحركة الإسلامية الحديثة تقريبا على هذا التوصيف، بل و تتفق معها كثير من فصائل الحركة الإسلامية التقليدية على نفس التوصيف. ولكن كل هذه الفصائل تنحصر خلافاتها وتمايزاتها في كيفية التعامل مع هذا الواقع.

فتنظيم الجهاد يرى أنه مادامت حكومات العالم الإسلامي قد اغتصبت الحكم بالانقلاب العسكري رغما عن الشعوب، وبمساندة ومباركة من الاستعمار الغربي، فإنه يحق للمسلمين أن يستردوا حقهم المغتصب بالقوة المسلحة. ورأى الجهاديون المصريون أن الاستيلاء على الحكم في العالم الإسلامي أولى من قتال الغرب، رغم كل الظلم الذي يظلمه الغرب للمسلمين.

وقد اعتمدوا في ذلك على القول بأن أنظمة الحكم في العالم الإسلامي هي عدو قريب، بينما الغرب هو عدو بعيد .

واستدلوا على أولوية قتال العدو القريب بقوله تعالى "يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة" ومعنى"يلونكم" أي الأقرب لكم ..

وتظهر قيادة صالح سرية - التى سبق وتحدثنا عنها فى فصل منفصل من هذا الكتاب- لمحاولة انقلابية فى مصر، مدى إيمان جماعة الجهاد المصرية بتقديم ما يسمونه بالعدو القريب على أى عدو آخر، بما في ذلك إسرائيل. فصالح سرية فلسطيني، ومع ذلك قام بنشاطه الجهادي ضد حاكم عربي، وليس ضد الصهاينة في فلسطين المحتلة. ولا تقتصر دلالة حركة صالح سرية على ذلك فقط، بل فيها دلالة أخرى، هامة جدا، تبرز مدى أهمية تنظيم الجهاد بمصر. فصالح سرية فلسطيني، وعاش فترة طويلة في عدد من الدول العربية المختلفة، على رأسها العراق والأردن، ومع ذلك ركز محاولته التغييرية على مصر بالذات. وفي الواقع، فإن تنظيم الجهاد المصري، والعديد من الجهاديين الإسلامين حول العالم، ظلوا إلى وقت قريب يرون أنه يجب التركيز على الاستيلاء على الحكم في مصر، لتكون القاعدة والمنطلق الذي تنطلق منه عملية التغيير الإسلامي إلى جميع أنحاء

العالم الإسلامي، لما لمصر من تاريخ ومكانة وإمكانيات وموقع جغرافي هام. وقد ساقوا أدلتهم على هذا الطرح في العديد من أدبياتهم السياسية مثل كتاب "فلسفة المواجهة" لطارق الزمر ..

وإذا كان تنظيم الجهاد المصري قد اعتمد استراتيجية التغيير بالقوة المسلحة، فإنه اتخذ من الانقلاب العسكري وسيلة وحيدة لتنفيذ هذه الإستراتيجية حتى عام ١٩٨٠ ، عندما أدخل عبود الزمر فكرة أن الانقلاب عسكري لابد أن تصحبه تحركات شعبية مؤيدة له، و ظلت هذه هي وسيلة الجهاد المعتمدة للتغيير إلى أن تشرذم التنظيم وضعف، بعد انضمام كثير من قادته الكبار للقاعدة عام ١٩٩٩ .

كما تم قتل القادة الكبار الآخرين، الذين رفضوا الإنضمام للقاعدة، وأصروا على بقاء تنظيم الجهاد على استراتيجيته القديمة بعيدا عن استراتيجية القاعدة، مثل نصر فهمي وطارق أنور وآخرين. وكان مقتل هؤلاء في القصف الأمريكي لأفغانستان، خاصة قصف قندهار وكابول. ورغم إن الجهاد يختزل فكرته كلها عن التغيير في الانقلاب العسكري، إلا إنهم وضعوا في استراتيجيتهم ما أطلقوا عليه العمليات الخاصة. وهي - حسب تعريفهم - عمليات مسلحة محدودة ضد رموز الحكومة وجهاز الأمن، بهدف الضغط على الحكومة، بغرض

وقف تعذيب المعتقلين، أو الإفراج عنهم، ونحو ذلك. ومن هذا المنطلق نفذوا محاولات اغتيال رئيس الوزراء الأسبق عاطف صدقي، ووزير الداخلية الأسبق حسن الألفي .

ولكن رغم كل ما ورد فى السطور السابقة، فيوجد هناك فرق بين الجهاد المصري، والقاعدة. ورغم إن كوادر الجهاد كانوا هم الركيزة الأساسية في تأسيس، وإدارة القاعدة، إلا إن القاعدة تبنت منذ ١٩٩٨ استراتيجية محاربة الولايات المتحدة وحلفائها، عبر ضرب مصالحهم في أي مكان في العالم، بهدف إضعاف قدرتها ونفوذها في المنطقة. الأمر الذي سيمنعها -كما يرددون- من مساندة حكام العالم الإسلامي، الذين نجحوا في التغلب على محاولات الجهاديين في الحصول على الحكم بسبب المساندة الأمريكية .

كما إن القاعدة - بجانب ذلك- تهدف بهذه العمليات لكسب تأييد الجماهير في العالم الإسلامي، لدعم خطط القاعدة، ومحاولاتها المستقبلية للحصول على الحكم.

وقد شرح هذه الاستراتيجية كثيرا أيمن الظواهري في مناسبات شتى. لكن في حقيقة الأمر، فمبتكر هذه الاستراتيجية الأصلي هو أبرز المفكرين الاستراتيجيين في القاعدة " أبو مصعب السوري".

لكن الظواهري تلقاها منه، واقتنع بها، بعدما نجحت "السي أي إيه" في معاونة الأجهزة المصرية في توجيه ضربات موجعة إلى جماعة الجهاد المصرية.

وقام الظواهري بإقناع أسامة بن لادن بها، ومن ثم نشأ سلوك القاعدة المسلح، الذي يستهدف العدو البعيد، قبل العدو القريب، خلافا لرأي جماعة الجهاد المصرية .

ولكن فى خضم كل هذه الأحداث، كان للدكتور سيد إمام الشريف - أحد المفكرين الكبار فى تنظيم الجهاد، القابع داخل السجون المصرية - رأى مختلف، وهو التراجع عن العنف وإراقة الدماء .

الدكتور سيد إمام الشريف ومراجعات الجهاد عام ٢٠٠٧

منذ بدأ انتشار خبر مراجعات جماعة الجهاد المصرية، والتي أتت بعد تحولات الجماعة الإسلامية في مصر بعشر سنوات، ويقودها منظر الجهاد سيد إمام الشريف - الشهير بالدكتور فضل كما تعددت أسماؤه الحركية - وانطلاق أولى حلقاتها في الثامن عشر من نوفمبر سنة ٢٠٠٧ ، قامت الدنيا و لم تقعد. وتحفز من تحفز مستبشرا بنتائج هذه المراجعات، وأنها تمثل بداية الطريق نحو نهاية ما تبقي من تنظيم الجهاد، سواء كانوا داخل السجون أو خارجها. وأيضا تخلي الفئات الصغيرة التى أحدثت التفجيرات الأخيرة - التى سبق وأن أشرت إليها - عن أفكارها الجهادية .. كما توقع الكثيرون أن تلك المراجعات ستكون بمثابة نهاية لتنظيم القاعدة، حيث تأتي من أبرز منظريها، وأهمهم على الإطلاق .

بينما اتجه فريق آخر نحو التشكيك فيها، مؤكدا أنها ليست أكثر من مناورة يناور بها أصحابها، دون مراجعة حقيقية لسابق آرائهم وقناعاتهم. ورأى البعض أن الرأى الأخير ما هو إلا كشف عن نوايا، وميل للتشكيك لا يرقى للرأي العلمي

الموضوعي. فالحقيقة التي تكشفها هذه المراجعات، هي المسافة البعيدة والشاسعة بين طرح سيد إمام الشريف السابق، وطرحه الحالي في وثيقة المراجعة التي تؤيده فيها أغلب قيادات جماعة الجهاد المصرية، باستثناء عدد قليل منهم لا يتجاوز عشرين فردا.

فوثيقة ترشيد العمل الجهادي تمثل مرحلة مفصلية، ومتطورة، ومختلفة بشكل كبير، عن طرح الدكتور سيد إمام السابق في كتبه ورسائله السابقة، التي احتل بها موقع الصدارة النظرية في التنظيم، وبين العرب الأفغان، قبل إنشاء القاعدة وبعدها. فعلى الرغم من انفصال الرجل الرسمي عن تنظيم الجهاد منذ عام ١٩٩٣، فإن كتبه هي الأكثر تدريسا وتداولا بين القاعدة، سواء في أفغانستان أو في خارجها.

وفي الوثيقة يتراجع الدكتور سيد إمام الشريف عن عدد من المسائل الرئيسية، التي سبق أن حاجج فيها، ونافح عن الفكر الجهادي. وأذكر في هذا السياق بالخصوص، محاججته القوية للشيخ المحدث الراحل ناصر الدين الألباني، حول مسألة الخروج على الحاكم، أو اشتراط الإذن من ولي الأمر في الجهاد، في كتابيه "الجامع" و"العمدة" حيث يقول في الأخير تحت عنوان كبير "الرد على شبهة خطيرة للشيخ الألباني" هي قول الألباني

في شرحه لقول صاحب العقيدة الطحاوية "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ولا نترع يدا من طاعتهم" مفصلا طريق الخلاص من ظلم الحكام - الذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا- وهو أن يتوب المسلمون إلى رهم، ويصححوا عقيدهم، ويربوا أنفسهم وأهليهم على الإسلام الصحيح، تحقيقا لقوله تعالى "إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ" وهو ما يرفضه دكتور سيد إمام ، الأول قائلا "وهذا التعليق من الشيخ الألباني فيه مغالطات خطيرة، وتلبيس شديد، ولا يليق بالشيخ، ولا بمن دونه في العلم بكثير" .. حيث أكد في بيان " واجبات الطائفة المنصورة " في الباب الثالث من كتابه المذكور، جهاد الحكام الكافرين المرتدين، وهو ما فصله في المسألة العاشرة من كتابه الجامع تحت عنوان "رد الشبهات في موضوع الحكم بغير ما أنزل الله ".

وهنا يمكن القول إن الدكتور سيد إمام الثاني- مقارنة بما حملته المراجعات - انسحب في مراجعاته لأبعد مما كان يرفضه من معارضيه، ومعارضي الجهاد سابقا. ولكن وفق نفس الخطاب والنظام المعرفي السلفي في مناهجه وآلياته، والجهادي والحاكمي القطبي في غاياته وهاياته ...

تنطلق قراءتنا هذه من فرضية مبدئية، وهي أن قيمة هذه المراجعات الفكرية تظل - شأن أي طرح فكري - تحتاج وقتا أطول لأحداث أثرها المرجو أو المتوقع، لأن الواقع يظل يفرز تأسيساته وتأصيلاته الخاصة. لذا نرى أن هذه المراجعات تساهم في خلخلة الفكر الجهادي، ولكنها لا تهدمه. حيث إنها جزء من سياقات اجتماعية وسياسية وثقافية أوسع، ولكن لا يمتد الرهان بها لهدم تنظيم القاعدة - الممثل الأكبر والأخطر للسلفية الجهادية الآن، والتيار الجهادي الأكثر حضورا الآن، بعد انضمام الجهاد المصري في الخارج له.

ومما يعضد هذه الفرضية في ذات الوقت، أن العلاقة الفكرية، وتأثير الدكتور سيد إمام الشريف على السلفية الجهادية حاضر بعمق مؤلفاته، وكونها من أدبيات الجهاد الأكثر رصانة، طوال مساره. ولكن علاقاته التنظيمية قطعت منذ فترة، وبلغت منطقة حادة من الارتياب والتشكك منذ فترة طويلة. لذا نتوقف تجاه تهويل البعض من أثر هذه المراجعات، وأنها ستهدم تنظيم القاعدة، أو ستنهي الأعمال العنيفة للسلفية الجهادية بمختلف تشكيلاتها.

كذلك فإن التهوين من شأن المراجعات لكونها من داخل السجن، أو لكونها لا تحمل تراجعا فعليا عن بعض المقولات

الجوهرية والتأسيسية للفكر السلفي الجهادي، كعدم تبين الموقف من التكفير عند الحديث عن الخروج على الحاكم، وكفر الحكومات الحالية في العالم الإسلامي، أو التوقف في مسائل أخرى كالحاكمية، أو الولاء، والبراء حيث لا زال الرجل على مواقفه الأساسية في هذه المسائل.

ومن هنا جاء تأنيبه ورفضه لممارسات القاعدة، أو اعتباره حكومة طالبان بريئة من أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لأنها جاءت من وراء ظهرها. ولكن قد يكون ذلك أول السيل كما يقولون. وتنطلق كتابات الرجل في المراحل اللاحقة، لمزيد من الرؤى التي يراجع فيها موقفه من مثل هذه المسائل. ولكن الأهم في هذه المراجعات، أنها كانت مراجعات عملية في مجملها الرئيسي، حيث تراجع عن كثير من المفاهيم العملية التي تحرك تيارات السلفية الجهادية، وفي مقدمتها تصوره لمفهوم الجهاد نفسه كأول واجبات الطائفة المنصورة، ومفهوم العدو، ومفهوم دار الإسلام الذي حسم في كتاباته السابقة أنها تحولت إلى دار كفر، حين غلبت عليها كلمة الكفر وشرائعه. وكذلك مثل مفهوم الخروج، ومفهوم القتل بالتترس، والقتل على المذهب، والطائفة. وكذلك اعتبار الحوادث وموازين القوى، وهي مسائل لا شك أكثر أهمية لمن يعنيه العنف أكثر في الواقع.

كما أنه يؤكد في مراجعته على شجبه وإدانته لممارسات العنف القتالي، الذي تقوم به القاعدة وفروعها، مسفها لأحلام أصحابها ومواقفهم.

ونرى أن بقاء عدد من المفاهيم التأسيسية في مراجعات الرجل يعطيها الكثير من المصداقية، والقوة، والبقاء داخل المنظومة الواحدة، باعتبار المراجعة تطويرا لها ليس إلا. وهو ليس مطالبا بأكثر مما يراه ويعتقده هو، لا ما يريده الآخرون ..

وأؤكد ابتداءً على عدد من الأمور، قبل الخوض في تحليل هذه المراجعات، واكتشاف دلالاتها المعرفية والسياسية، نرى أهميتها قبل التحليل ..

الأولى: أن المراجعات ليست عيبا ولا تراجعا .. بالمعنى السلبي، بل هي نقد ذاتي، وفضيلة تحسب لمن يقدم عليها. وهي قديمة في تراثنا، كما إنها مستمرة في فضائنا الإسلامي المعاصر. وهي ليست محصورة في الحركات الجهادية والعنفية، كما كان في مبادرة الشيخ سيد إمام الحالية، أو مبادرة أبي الفضل ناجح إبراهيم ورفاقه في الجماعة الإسلامية، منذ عشر سنين. فهي موجودة على مستوى الأفراد والجماعات في آن واحد.

ولعل من أشهر هذه المراجعات، ما كان من "أبي الأعلى المودودي"، وموافقته للشيخ "أبي الحسن الندوي"، في نقده

لتفسيره السياسي للإسلام، في كتابه الذي صدر في نهاية السبعينيات، قبل وفاة الأول. وتعرض فيها للمفاهيم المركزية والشغالة، في أطروحة كل من "المودودي" و"سيد قطب"، حول الدولة الإسلامية، وبخاصة الحاكمية. وفي الأعوام الأخيرة، طالعتنا مراجعة حسن حطاب - مؤسس الجماعة السلفية للدعوة والقتال وأميرها السابق- التي تحولت خلال عام ٢٠٠٧ للقاعدة في بلاد المغرب العربي. وقد سلم حطاب نفسه مؤخرا للسلطات الجزائرية، ربما فرارا من رفاقه السابقين، الذين لم يتوانى أشباه لهم عن قتل الشيخ محمد سعيد أمير جماعة الجزائري -أتباع المفكر الجزائري مالك بن نبي- ومعه خمسمائة من أتباعه، في منتصف التسعينيات، حينما أرادوا التراجع عن الخيار العنفي، الذي اختاروه عقب الأزمة الجزائرية في عام ١٩٩٢ ، على يد الجماعة الإسلامية المسلحة بقيادة جميل زيتوني ..

كما تحولت الشبيبة المسلمة المغربية عن العنف، وخرج من مخاضها حركة التوحيد والإصلاح، التي يمثل حزب العدالة والتنمية المغربي فرعها وجناحها السياسي.

ولعل من أشهر المراجعات الجهادية الأخيرة، مراجعة الأردني "أبي محمد المقدسي"، الذي يتنازع صدارة التنظير والتأسيس

الفكري للقاعدة والسلفية الجهادية مع الدكتور سيد إمام.

وقد طال نقاش وجدل حاد بينه وبين تلميذه "أبي مصعب الزرقاوي"، قبل رحيل الأخير عام ٢٠٠٦ ،حول العمليات الاستشهادية، والقتل على المذهب والطائفة. وقد استدل الزرقاوي، في رده على المقدسي، بآراء للدكتور "سيد إمام" في هذه المسائل وغيرها.

ومن ثم فمراجعات الدكتور سيد إمام، وغيره، تقدم نحو الأمام، ونحو فهم أعمق للدين، وأحكامه، ومآزق الرؤية السابقة، ونقائصها. هي قراءة تتصالح مع المسألة الماثلة، واللحظة الراهنة، كما تكتشف من النص، ومن دوران الأحكام مناسبتهما؛ وهو المنطق الذي دفع الشافعي أن ينشئ مذهبا في العراق، وآخر في مصر. وكان يقول رحمه الله "إني لأتدين بدين الحق. أينما وجدته عدت إليه" كما أنه المنطق الذي جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول يوما "أصابت امرأة، وأخطأ عمر"

الثانية: المراجعات جزء من سياق أعم .. ربما لمأزق التيار الجهادي، والأدلجة الإسلامية بعموم ،كان تواتر وتتابع المراجعات في صفوفها، وكان زخم متابعتها والتعاطي معها. فضلا عن رمزية مراجعات دكتور فضل تحديدا، فالمراجعات

سمت عام في الخطاب العربي المعاصر في مختلف تشكلاته وتياراته.

فالنهضة العربية المعاصرة ليست سوى لحظة توتر ممتدة، لا تنقطع منذ بداياتها في أواخر القرن التاسع عشر. فمثلا تراجع الشيخ محمد عبده عن تأييده لثورة عرابي، ووصفه إياه بالقائد الأشل بعد ذلك. وكذلك مغادرته لأطروحة الدولة عند أستاذه الأفغاني، نحو طرح الأمة والتعليم، والبدء منه بعد وفاة الأول.

وفي لحظتنا الراهنة، لم تعد القوالب الفكرية المصمتة سوى قوالب خشبية هشة، يتحرك بين تخومها المفكرون وأطروحاتهم، وتتعدد روافد مرجعياتهم، فتتم أسلمة الليبرالي دون أن يدري، ولبرلة اليساري والإسلام بقصد أو بلا قصد، والمقاصد البراجماتية لا تغيب في أغلب أحيان.

إنه فقه الواقع المتقلب، ولحظة النهضة المتوترة، التي تستعصي على الحسم منذ مائتي عام. ليس فقط في فضاء الإسلاميين؛ ولكن في فضاء كل النخب العربية على حد سواء.

وهنا.. لا أقلل من أهمية المراجعات الجهادية، خاصة ما ارتبط بها من آثار دموية وعنيفة ،كان أول ضحاياها العاديين والبسطاء من أهل هذا الوطن وغيره من أوطان العالم العربي والإسلامي. ولكن ما أؤكد عليه، هو أن هذه المراجعات

- وغيرها - أمر طبيعي في مناخ متأزم، ومتوتر على كل مستوياته، لم يستثن أحدا من إمكان المراجعة، والتوتر داخله.

الثالثة: القراءة والعمق الدلالي المعرفي .. الدلالة الأهم هي تأكيد هذه المراجعات على أن خيار العنف لا يمكن أن يكون خيارا مؤبدا. ولا يمكن الامتداد به في استقامة أيديولوجية حادة، ولا تاريخية، فوق النص والتاريخ. فالصراع المؤبد خيار فاشل، سواء في تأسيساته، أو في سياقاته. وإذا كان التأصيل السابق -للدكتور فضل أو غيره - يجيز ذلك، ثم تراجع عنه، فهو ما يؤكد على تاريخية كل تأصيل، وأن التأصيل الذي لا يتزحزح ليس سوى وهم يسكن عقول أصحابه وكهوفهم.

هذه المراجعات دعوة للمراجعة الشاملة من قبل النخب السياسية والفكرية الأخرى. فبعد مراجعات الجهاد المصري عن العنف، والتي تأتي بعد مراجعات الجماعة الإسلامية في مصر، ينبغي أن تدفع في اتجاه مراجعة شاملة، تؤسس للتجديد والتجدد، على مستوى الفكر والممارسة السياسية لهذه المجموعات، ومعارضيها في الآن نفسه.

كما أن الدلالة الأهم، هي أن العنف لا يمكن أن يكون خيارا مؤبدا، وملزما للجماعات التغييرية من مختلف مشاربها، وأن التاريخ والواقع سيظل يمارس فعله واقتداره على

الأيديولوجيات الانقلابية عليه، حتى ينجح في تطويعها أو تطويرها. وهذا ليس انهزاما أمام الواقع ومنتجاته، قدر ما هو تصالحا مع الواقع، والتحاما به من أجل تغيير أكثر رحابة وإمكانية.

وهذا التراجع السلمي والتأسيسي، المفارق لأيديولوجية العنف نحو أيديولوجية الأمن، ينبغي أن تستغله مختلف النخب السياسية والفكرية، من أجل دفع الحيوية والمطلبية السياسية لمزيد من الحراك السياسي الفاعل، الذي كان يتعلل فيما سبق بالعنف الإسلامي، الذي كانت تمثله الجهاد والجماعة الإسلامية. وهو ما قد يؤكد ضرورة الانفتاح السياسي الحقيقي، الذي يستوعب هذه التطورات، ويؤمّن ممارسة سياسية مسموحا بها للجميع، دون تعلل بحوادث إرهابية هنا أو هناك .كما أنه يؤكد على قيمة جوهرية في ضرورة النقد الذاتي، على الجميع أن يرتفع إليها.

ومن هنا، إن كثيرا من القراءات التي تناولت مراجعات الدكتور سيد إمام - على الرغم من قيمتها وقدرها - لم تول نظرا لمثل هذه الدلالات المهمة، التي تفيض بها هذه المراجعات، سواء في كليتها أو في تفاصيلها، قدر ما ركزت على السبق باستنتاج آثارها، وتأثيراتها على تنظيم القاعدة غير المؤكد وجوده في مصر حتى الآن.

كما إن الرهان الفكري على أثر هذه المراجعات، يظل مرتبطا بالحالة القطرية للتنظيم في مصر، وقياداته في السجون. وكذلك - وبشكل كبير - على رمزية دكتور سيد إمام في فضاء السلفية الجهادية، وهو ما كان يتطلب منه جهدا مضافا، وهي مراجعات أوجزها فيما يلي:

أولا : نقد تأسيساته السابقة .. عبر نقد رؤاه السابقة في الخروج على الحاكم، أو قتل المدنيين، أو مسائل الجهاد، أو توضيح سوء التأويل لها. وهو بذلك يربط تلاميذه والمرتبطين به من أعضاء السلفية الجهادية بمراجعاته الحالية، ويؤكد للمتشككين فيها جوهريتها وعمقها واستقلالها. وكما اعترف الكثيرون بالعمق الفقهي للمراجعات، يعرف من قرأ التأسيسات السابقة له كذلك عمقها وحجاجها. وخاصة أن جزءً من أهدافها كان توضيح شبهات وجدل مع علماء أقدمين ومعاصرين، كما قال في مقدمة كتابه "الجامع في طلب العلم الشريف" وهو ما يستدعي مراجعة صاحبه له، وهو ما سبق أن صنعه العديد من المتحولين للفكرة الإسلامية من الاتجاهات العلمانية، وأولى أن يصنعه المتحولون عن أيديولوجية عنيفة تأسست على رؤية دينية بالأساس.

ثانيا : نقد كتابات السلفية الجهادية الأخرى .. وهي التي يراها أسست لهذه الممارسات التي يرفضها. فالسلفية الجهادية، وفكر القاعدة صار يجد زخما من تأسيس فقهي وديني

متنوع، يحضر فيها "سيد قطب" و"عبد الله عزام" و"أحمد محمد شاكرط و"محمد حامد الفقي" و"محمد خليل هراس" و"محمد بن عبد اللطيف آل شيخ - مفتى السعودية السابق- وتلميذه "حمود عقلا الشعيي" من الراحلين. ومن الحاليين هناك أبو بصير، وأبو قتادة الفلسطيني، وأبو مصعب السوري، وناصر الفهد وغيرهم التى تنتشر كتبهم ومؤلفاتهم، والتى يتناولها أعضاء السلفية الجهادية، بل يحضر فيها جيل جديد من السلفيين الجهاديين، صار يؤسس فكريا لممارساته العنيفة، أغلبهم لم يتجاوز عقده الثالث.

بل إن كثيرا من الكتابات الرفضية، والعدمية، والاستياء من السياسة الأمريكية في المنطقة والعالم، تمثل تبريرا وتعضيدا لهذه الأيديولوجية من طريق غير مباشر، ويتم استثمار قادتها لها والتجنيد عبرها للأيديولوجية العنفية. كما أن واحدا من شروط مواجهة العنف الديني، هو تغيير المناخ المساعد عليها، سواء أكان سياسيا أو اجتماعيا أو خطابيا.

فالأمر ينبغي ألا يحصر في مجرد مراجعة فكرية، قد يظل تأثيرها تاريخيا، شأن كثير من المراجعات التي قام بها أصحابها في القديم والجديد .. فمن هنا تأتي قيمة مراجعات دكتور سيد إمام تظل قيمة فكرية، ويظل أثرها فكريا، لا يمتد نحو أحداث

خلخلة فكرية عميقة في فكر القاعدة، لكونها مراجعة فكرية لا تشمل التنظيمات الجهادية في سياقاتها الجيوسياسية الحالية، فضلا عن توقع تجاهل القاعدة لها، وفضلا عن ابتعاد الدكتور سيد إمام المؤكد عن التنظيمات، منذ ما يزيد عن عقد من الزمان، وهو ما يستدعي منه الالتحام بالأطروحات المضادة لأطروحته الحالية، بما فيها أطروحاته السابقة، دون الاكتفاء بالتبرأ العام منها.

أما التنظيم، فكفيلة بخلخلته ظروف الواقع وتحدياته، التي تكسر دائما محاولات الانقلاب عليها تحت دعوى الاقتدار والانقلاب على الزمن. كما يبقى هناك تحدٍ آخر، هو التحدي الزمني بعد غياب جيل القاعدة القيادي الأول، الذي تجاوز العقد الخامس من عمره، واحتمالات الاختلاف بعده. وتحدٍ جغرافي، بعد تحوله من العالمية إلى الإقليمية، بظهور فروعه الجديدة في جزيرة العرب، وبلاد الرافدين، والمغرب العربي وغيرها، مما ينذر بضعف الارتباط المركزي داخل شبكة، ويعيد الكرة لصالح الأنظمة القطرية في مواجهتها والقضاء عليها.

ولكن رغم كل ما سبق، فقد قام تنظيم القاعدة بالرد على مراجعات الدكتور سيد إمام على مدونة "بيان تنظيم القاعدة فى أرض الكنانة" تحت عنوان "مراجعات الجهاد .. حقائق

ومسلمات"

وسنعرض بعض جوانب من ردود القاعدة، والتى كان نصها كالتالي ....

"بالرغم من عدم اطّلاعنا على ما كتب في الوثيقة الأخيرة التي تحدثت عنها الصحف، إلا البيان الذي نشر في بعض الصحف ومواقع الانترنت. وبالرغم من تنبيه الشيخ سيد إمام " فك الله أسره" الذي دعا فيه إلى عدم الانسياق وراء الشائعات. إلا أن بعض الصحف والمواقع الإسلامية قامت بنشر بعض التكهنات والتحليلات المبالغ فيها، وحاولت أن تلبس الأمر ثوبا غير ثوبه. فكان لزاما علينا أن نذكر ببعض الحقائق والمسلمات، حتى يتضح الأمر لكل من يجهله، وتكتمل الصورة لكل باحث عن الحقيقة، فأقول وبالله التوفيق:
أولًا: إن الابحاث الشرعية الجديدة الصادرة من وراء شمس الحرية ما هي إلا نتاج مشروع استراتيجي للمخابرات المصرية، قد شرعت للعمل فيه قبل عشرة أعوام، في محاولة منها للقضاء على الفكر الجهادي في مصر، والذي خطط له وأشرف عليه رئيس قسم النشاط الديني في مباحث أمن الدولة، و الذي حل محل اللواء رؤوف خيرت، الذي اغتالته الجماعة الإسلامية في عام ١٩٩٤ ، وأطلق عليه "خطة الاستقطاب والحوار" أي

اضرب بقوة، ولكن في الوقت نفسه لا مانع من أن تحاور، ولكن شرط أن تستقطب أنت من تحاوره إلى ما تريده.

ولقد صرح فؤاد علام، نائب مدير مباحث أمن الدولة الأسبق، بأن الدولة لن تقبل بأي مبادرة فكرية من داخل السجون إلا بأبحاث جديدة. وقال:

"كما خرجوا علينا بأبحاث شرعية، فلابد و أن يرجعوا بأبحاث شرعية"

كذلك صرح حبيب العادلي وزير الداخلية الحالي لأكثر من مرة بأنه يقوم حاليًا بعملية ترويض للارهابيين داخل السجون المصرية. وما عزل الشيخ عبود الزمر - فك الله اسره - عن قيادات الجماعة الإسلامية، وهو أحد أعضاء مجلس الشورى فيها، والإعلان عن وجود الشيخ محمد الظواهري - فك الله أسره - في السجون المصرية، بعد إنكار دام عدة سنوات، واعتقال الدكتور سيد إمام في اليمن، بالرغم من علمهم المسبق باستقالته من جماعة الجهاد، وطلبوا استلامه بعد أسبوع من اعتقاله.. ما هي إلا حلقات في ذلك المشروع المخابراتي، ودليل على وجود مخطط خاص بملف جماعة الجهاد، بعد الانتهاء من ملف الجماعة الإسلامية.

ثانيًا: إن صدور مثل هذه الأبحاث من داخل أقبية

السجون - وإن سلمنا بما قاله الدكتور سيد إمام في بيانه الأخير بأن العبرة بالدليل، وليس بمكان صدورها - إلا أنه لن يستطيع أحد أن ينفي ممارسات الداخلية المصرية الممنهجة لسياسة العصا والجزرة في كل معتقل في مصر، كي تمرر مشروعها الاستراتيجي. فالأخبار المتواترة تنقل إلينا من داخل السجون وخارجها، بأن كل من رفض المبادرة، أو اعترض على الأبحاث الجديدة، فإنه ينكل به، ويمنع أهله من زيارته، وينقل الى سجون بعيدة شديدة القوانين و الحراسة.

ثالثًا: إن تعمد عدم نشر نص الوثيقة، التي قالوا عنها مراجعات للدكتور سيد إمام، والاكتفاء بنشر البيان الخاص بها ، كان لأحداث حالة من اللغط والشائعات والخلاف بين الشباب المجاهد في الداخل والخارج، حيث يراد للجميع أن يفهم بأن الشيخ قد تنصل من كتابه السابق "العمدة". والحقيقة، لا أحد يدري ما كتب فيها من مسائل شرعية، فلعل كل ما في الامر نصائح عامة للشباب المجاهد، وليس تراجعًا عما كتبه من قبل. و هذا ما دفع الشيخ سيد إمام أن يقول في بيانه، الذي نشر بإذن من الداخلية المصرية:

"لا يجوز الحكم قبل الاطلاع عليها، ولا يجوز أن ينسب أحد إليّ قولًا إلا ما ذكرته في هذه الوثيقة، ولا يجوز الانسياق

وراء الشائعات لقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين" (الحجرات ٦) ...

ذلك لعلمه المسبق بمكر الداخلية المصرية، وما تهدف إليه في هذا الأمر.

رابعًا: إن اشتراط الدكتور سيد إمام عدم طباعة أو نشر الوثيقة الجديدة بمفردها، وعلى أن تطبع كملحق مرفق بكتابه السابق "العمدة"، يؤكد لنا مدى تمسك الدكتور باجتهاداته السابقة في النسخة الأصلية من الكتاب، وحرصه على نشرها.

خامسًا: إن الدكتور سيد إمام قد أكد في بيانه على أنه سيرجع عن هذه الاجتهادات الواردة في الوثيقة، إذا جاءه دليل صحيح يخالف ما وصل إليه من إجتهاد، فقال في بيانه:

"وأي شيء في كتاباتي يخالف الدليل الشرعي الصحيح السالم من المعارضة، فأنا راجع عنه، وأقول بما دل عليه الدليل"

مما يدل على أن الأمر لم ينته بعد.

سادسًا: إن الاجتهادات الواردة في الوثيقة الخاصة بالدكتور سيد إمام، التي قالوا عنها تخص منهج جماعة الجهاد، وعمليات تنظيم القاعدة، من المؤكد أنها تمت خلف القضبان بعيدا عن

واقع الجهاد، وواقع التنظيم، فالجميع يعلم أن الشيخ قد اعتزل العمل مع المجاهدين، ومتابعة واقعهم منذ عام ١٩٩٥، وأنه تفرغ للعمل كطبيب في اليمن، حتى قام الأمن السياسي في اليمن باعتقاله، وتسليمه الى مصر في عام ٢٠٠٣ ، فلم يصل الشيخ أية أخبار خاصة عن واقع المجاهدين، وتنظيم القاعدة إلا من خلال ما ينشر على صفحات الجرائد أو المذياع.

سابعًا: ليس صحيحًا البته، ما زعمه الدكتور ناجح إبراهيم -مدير موقع الجماعة الإسلامية - في بياناته الأخيرة من أن: "الدكتور سيد إمام أول قيادة علمية فقهية في القاعدة والجهاد يجري مراجعات شاملة لفكر هذين التنظيمين"

أو :

"أنه منظر ومفكر القاعدة الأساسي"

فالكل يعلم أن الدكتور سيد إمام لم ينضم في يوم من الأيام إلى تنظيم القاعدة. وأول من انضم الى القاعدة من جماعة الجهاد هو الدكتور أيمن الظواهري، وكان ذلك بعد استقالة الشيخ سيد إمام من قيادة جماعة الجهاد. وبالرغم من أن تنظيم القاعدة كان، ولا يزال، يكن كل حب وتقدير لكل علماء الحركة الإسلامية عامة، وللدكتور سيد إمام خاصة، وبالرغم من تدريس كتاب "العمدة" في معسكرات القاعدة، إلا أن

هذا ليس دليلًا على انضمام الدكتور سيد للتنظيم، أو كان أحد مفكريها.

وإننا في هذا الصدد لنؤكد أن منظروا القاعدة ومفكروها الأساسيين هما الشيخ أسامة بن لادن، والدكتور أيمن الظواهري -حفظهما الله- ولا أحدًا سواهما، وأن ما يصدر منهما من إصدارات توجيهات يمثل فكر القاعدة ومنهجها.

ثامنًا: إن العديد من قيادات جماعة الجهادية في مصر داخل السجون وخارجها، لازالت على قناعاتها السابقة في المسائل الشرعية الخاصة بالجهاد، وإن كانوا قد استفادوا من تجاربهم السابقة، التي قد أصقلت تفكيرهم تمامًا ،كما حصل بعد صدور أبحاث الجماعة الإسلامية. لكن بسبب إرهاب الداخلية المصرية، والتعتيم الإعلامي المتعمد، لم يتم الإعلان عن مواقف وآراء هذه القيادات.

تاسعًا: إن المخابرات المصرية تقوم حاليًا بتنفيذ مهمة جديدة لصالح مكتب التحقيقات الأمريكي في القاهرة، وذلك بعد انتهاء مهمتها الخاصة بالتحقيق مع أعضاء القاعدة المعتقلين في السجون السرية. والمهمة الجديدة تعني بحرب الأفكار، التي هي جزء لا يتجزء عن الحرب الصليبية الأمريكية القائمة، و التي لا

تقل أهمية عن الحرب العسكرية الجارية في العراق و أفغانستان.

أخيرا : ندعو أخواننا وأحبتنا قيادات الجماعة الإسلامية في مصر إلى الانشغال بالدعوة الى الله، وهداية الخلائق، والكف عن دعوة الشباب المجاهد إلى ترك جهاد اليهود والأمريكان في بلاد المسلمين، لأن نتائج ذلك الأمر ستكون بلا شك لصالح العدو المتربص لبلاد المسلمين.

وختموا تلك الوثيقة بقولهم ... نسأل الله تعالى أن يفرج كربات مشايخنا وأخواننا المسجونين، وأن يثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة إنه سبحانه ولي ذلك و القادر عليه.

ـ الخـاتمـة ـ

بعد كل هذه الرحلة الطويلة، التى تحكيها الصفحات السابقة من هذا التحقيق عن التاريخ الطويل للجماعات الإسلامية، سواء فى مصر أو خارج مصر .. ربما تدمع العيون ، وربما تشفق القلوب ، وربما تقشعر الأبدان من هول أفعال من لا يدركون ، او يدركون؛ ولكنهم يخطئون. ولكني متأكد - من خلال جلساتي مع بعض المنتمين للجماعات الإسلامية - إنهم جميعا الآن يستنكرون تلك الأفعال، ويندمون عليها، ولا يرجون عودة العصر الدموي مرة أخرى ..

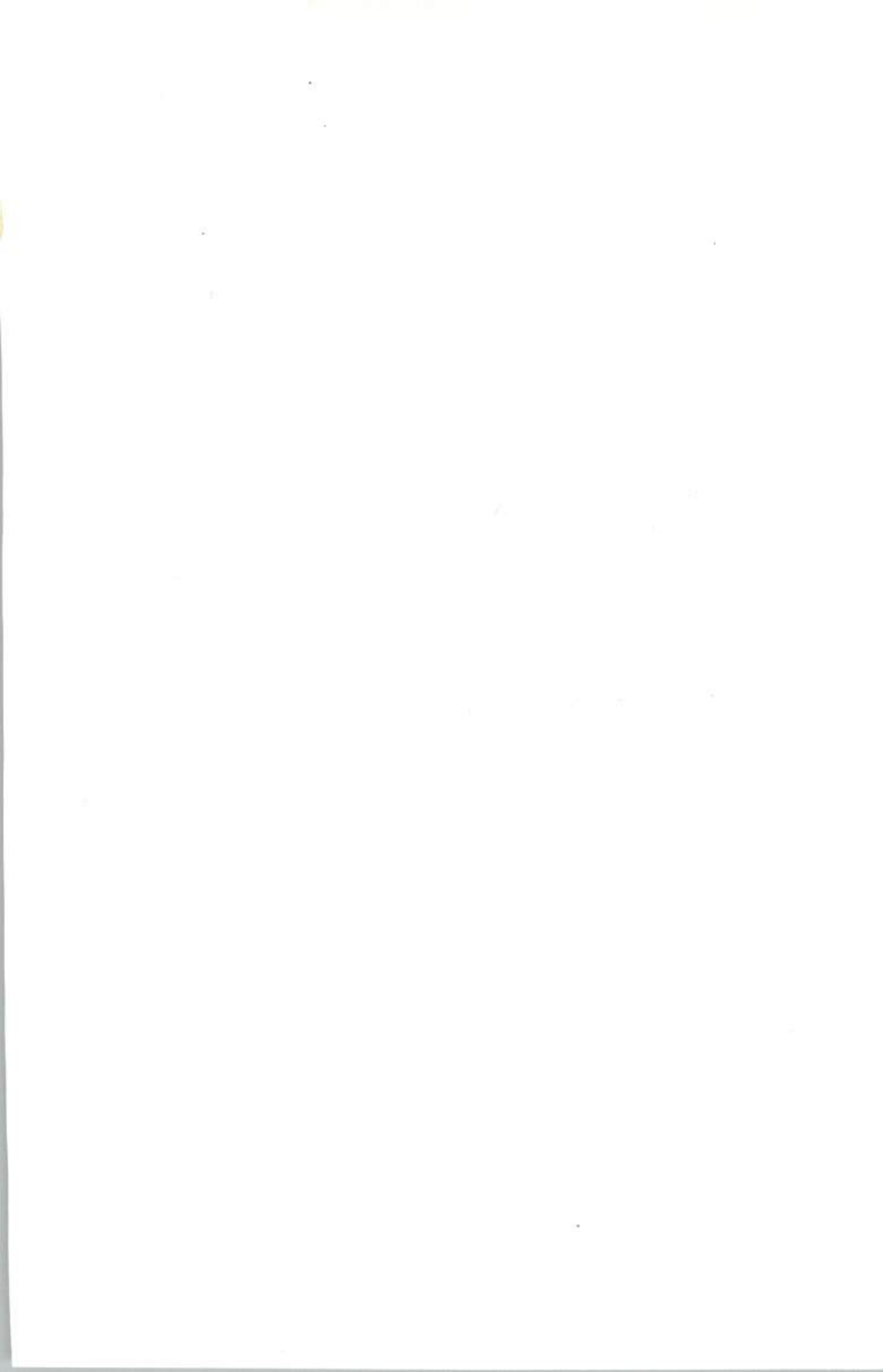
احترت كثيرا وأنا أسطر الخاتمة، وكتبتها كثيرا ولكننى كنت أمحوها فى اللحظات الأخيرة، لأنني لا أريدها خاتمة تقليدية، وإنما أريدها تعبيرية عما يجيش بداخلنا .. بداخل صدورنا .. بداخل عقولنا.. وما وجدت غير قصيدة للشاعر الراحل محمود درويش، ربما تعبر عن اتجاهاتنا نحو الذين يصرون علي اتباع العنف، وقتل الأبرياء .....

"أيها المارون بين الكلمات العابرة .. احملوا أسماءكم وانصرفوا .. واسحبوا ساعاتكم من وقتنا وانصرفوا .. واسرقوا ما شئتم من زرقة البحر ورمل الذاكرة .. وخذوا ما شئتم من صور كي تعرفوا .. إنكم لن تعرفوا .. كيف يبنى حجر من

أرضنا سقف السماء .. أيها المارون بين الكلمات العابرة ..
منكم السيف .. ومنا دمنا .. منكم الفولاذ والنار .. ومنا
حجر .. منكم قنبلة الغاز .. ومنا المطر .. وعلينا ما عليكم من
سماء وهواء .. فخذوا حصتكم من دمنا .. وانصرفوا ..
وأدخلوا حفل عشاء راقص .. وانصرفوا .. وعلينا نحن أن
نحرس ورد الشهداء .. وعلينا نحن أن نحيا كما نشاء .. أيها
المارون بين الكلمات العابرة .. كالغبار المر .. مروا أينما شئتم
ولكن .. لا تمروا بيننا كالحشرات الطائرة .. فلنا في أرضنا ما
نعمل .. ولنا قمح نربيه ونسقيه ندى أجسادنا .. ولنا ما ليس
يرضيكم هنا .. حجر أو حجل .. فخذوا الماضي إذا شئتم إلى
سوق التحف .. وأعيدوا الهيكل العظمى للهدهد .. إن شئتم
على صحن خزف .. فلنا ما ليس يرضيكم .. لنا المستقبل ..
ولنا في أرضنا ما نعمل .. أيها المارون بين الكلمات العابرة
..آن ، أن تنصرفوا .. آن ، أن تنصرفوا .. ولتموتوا أينما شئتم
.. ولكن لا تموتوا بيننا .. فلنا في أرضنا ما نعمل .. ولنا
الماضي هنا .. ولنا صوت الحياة الأول .. ولنا الحاضر ،
والحاضر ، والمستقبل .. ولنا الدنيا هنا والآخرة .. فاخرجوا
من أرضنا .. من برنا .. من بحرنا .. من قمحنا .. من ملحنا
.. من جرحنا .. من كل شيء واخرجوا .. من ذكريات
الذاكرة .. أيها المارون بين الكلمات العابرة"

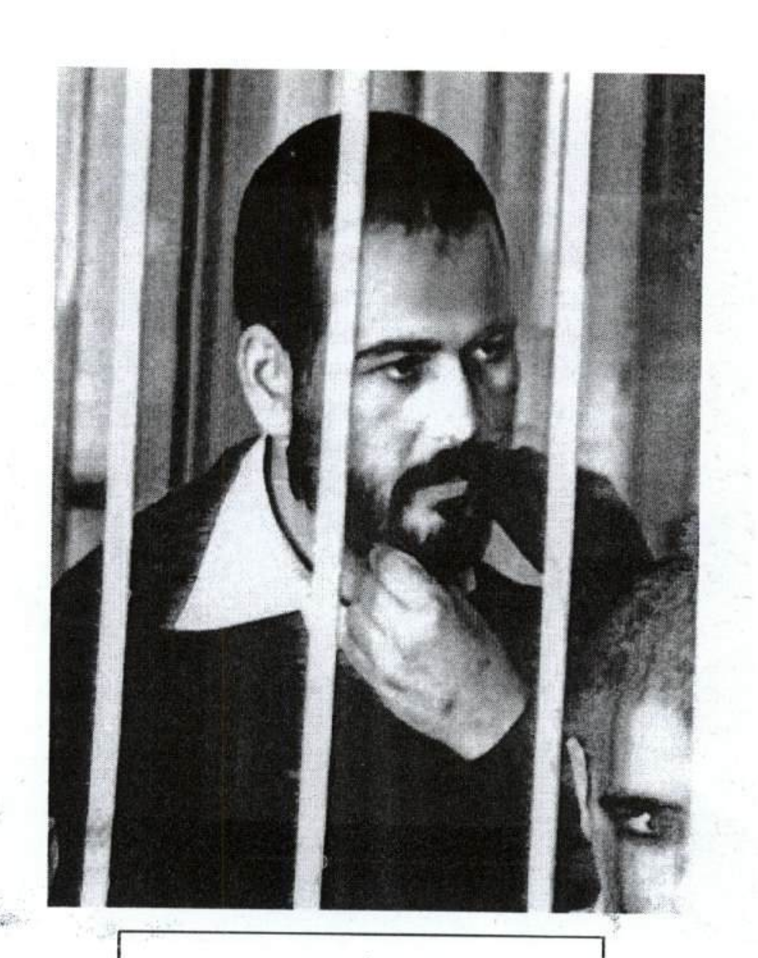


ملحق الصور

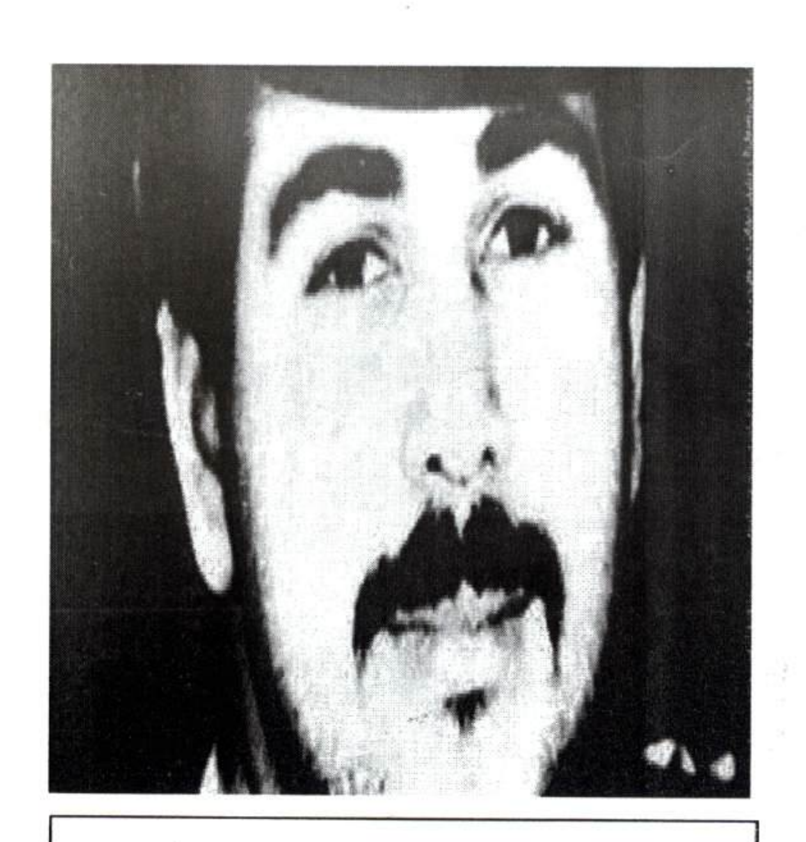




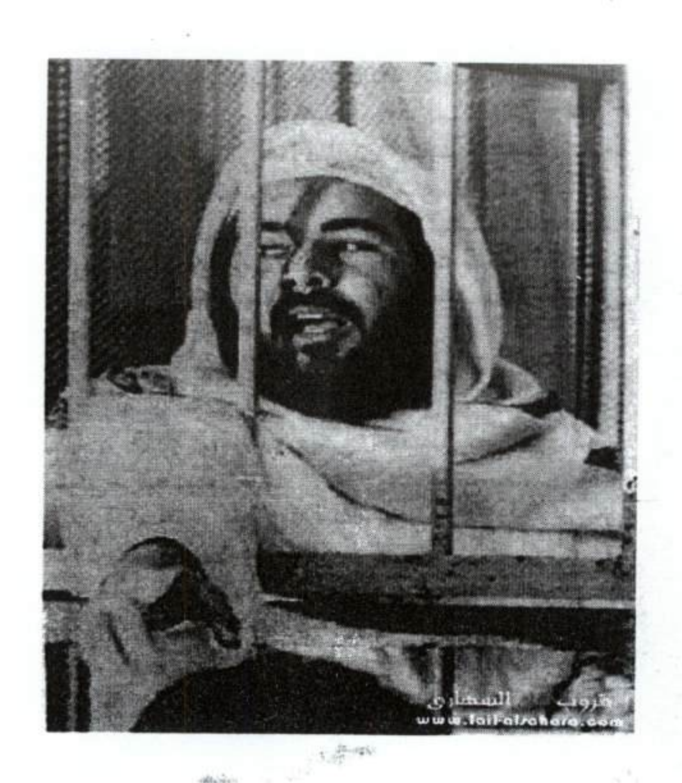
الإسلامبولي أثناء وجوده بالجيش



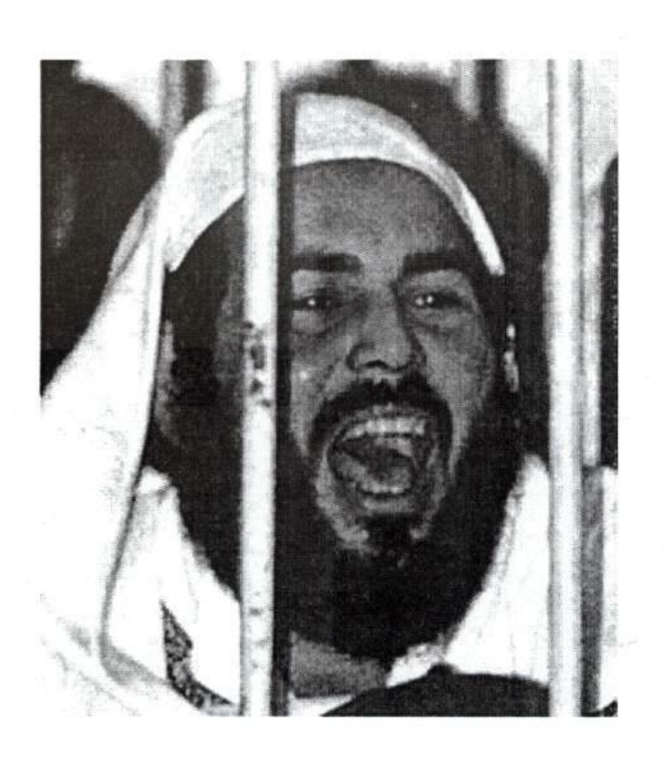
الإسلامبولي أثناء المحاكمة



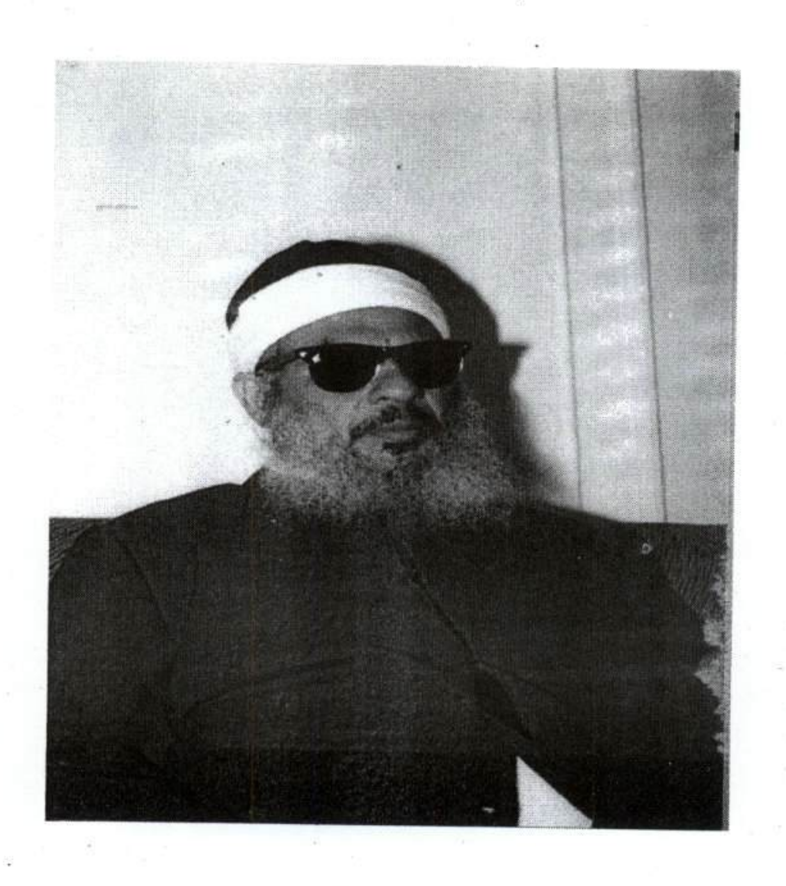
صورة نادرة لخالد الإسلامبولي منفذ عملية اغتيال السادات وهو طالب الكلية



الإسلامبولي أثناء صدور الحكم بالإعدام



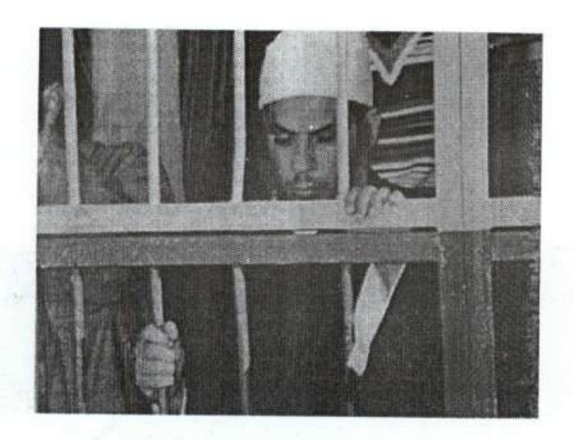
الإسلامبولي أثناء صدور الحكم بالإعدام

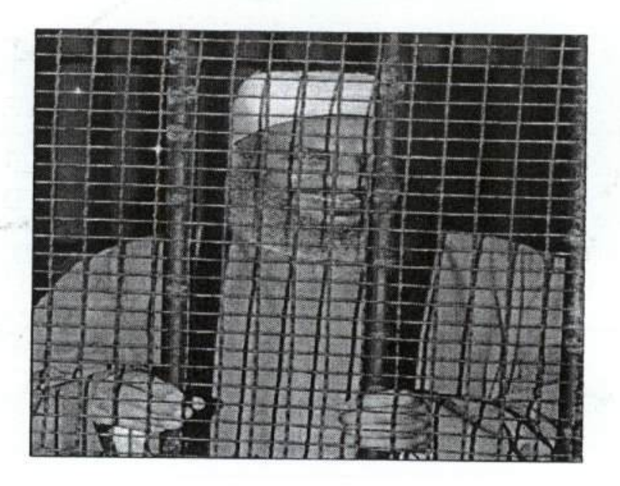


الشيخ عمر عبد الرحمن الذى أطلق فتوى اغتيال الرئيس السادات



صورة نادرة للشيخ عمر عبد الرحمن





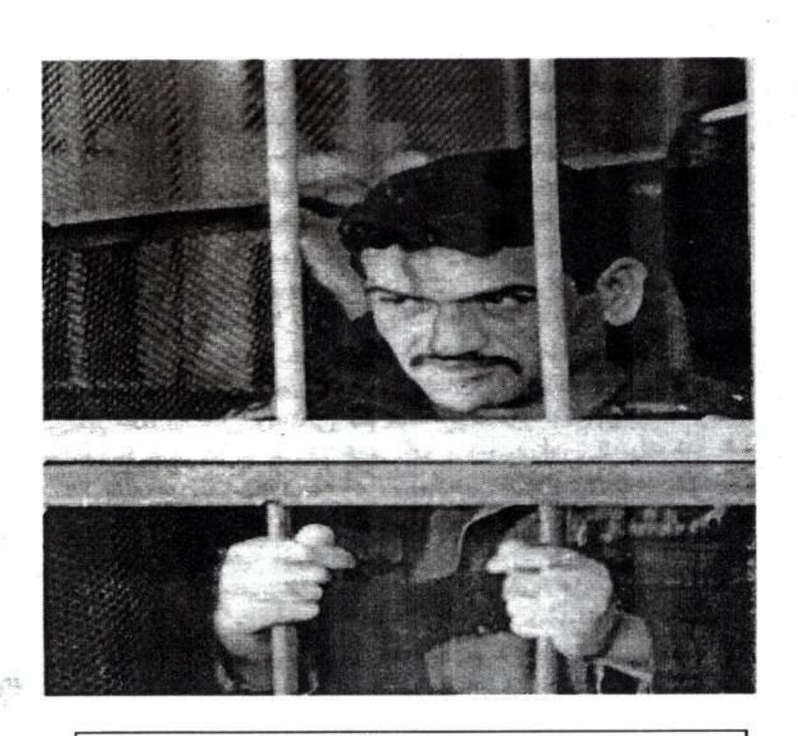
صور للشيخ عمر عبد الرحمن وهو فى قفص الاتهام



عبود الزمر فى مرحلة الثانوية



عبود الزمر برتبة ملازم



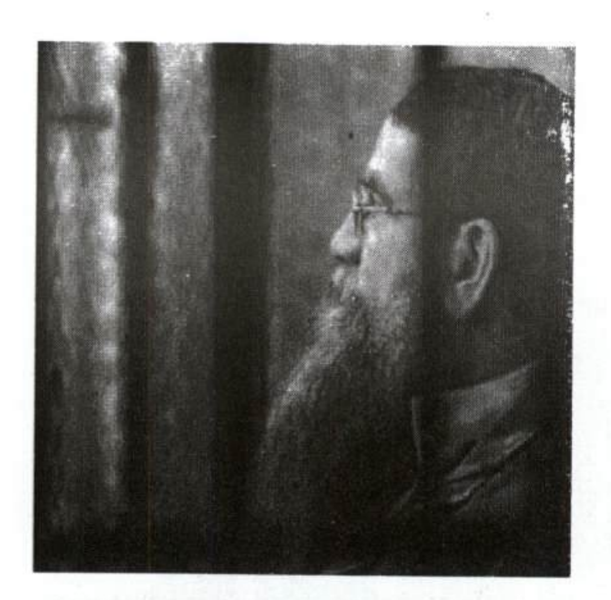
عبود الزمر المتهم الثاني فى قضية اغتيال الرئيس السادات"

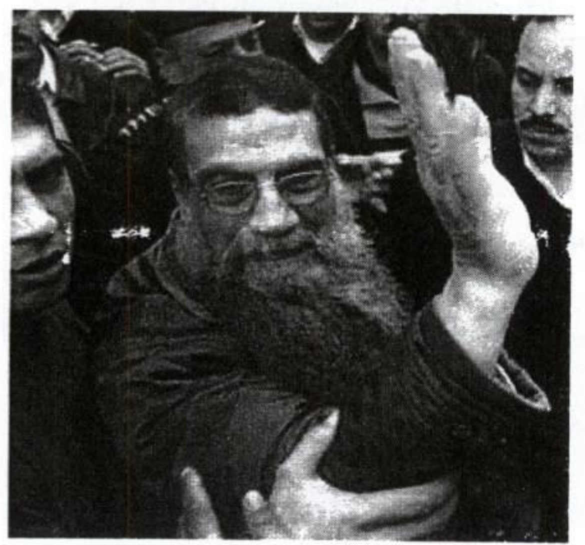


عبود الزمر وآخرون أثناء محاكمته فى اغتيال السادات

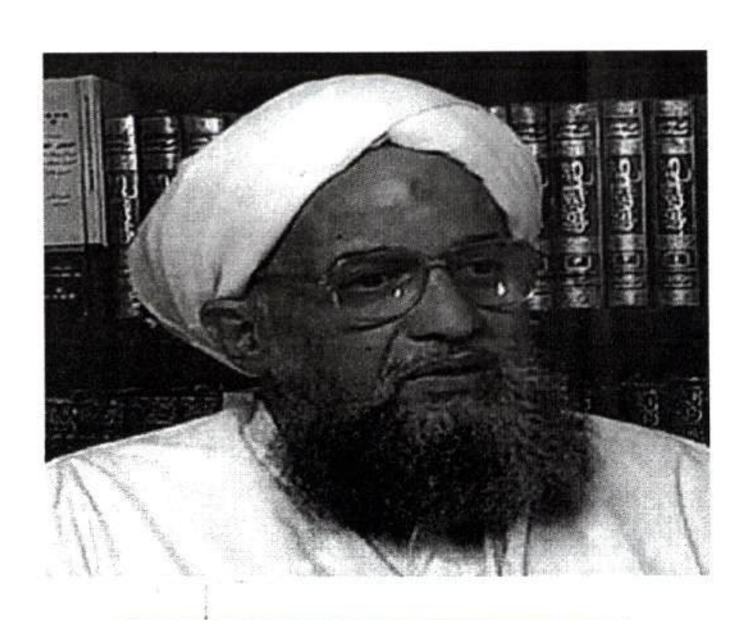


صورة طارق الزمر أثناء المحاكمة فى قضية اغتيال السادات





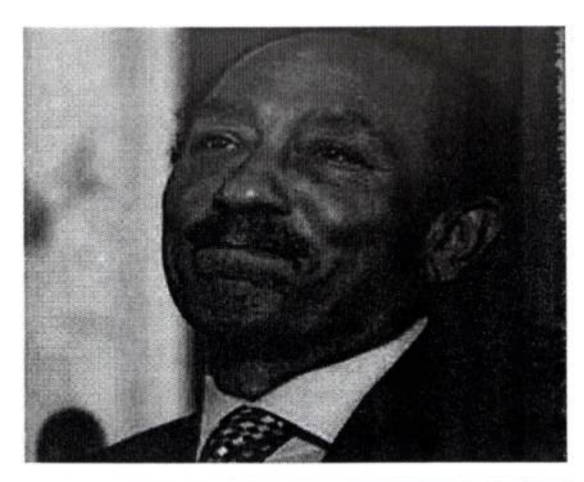
عبود الزمر الآن

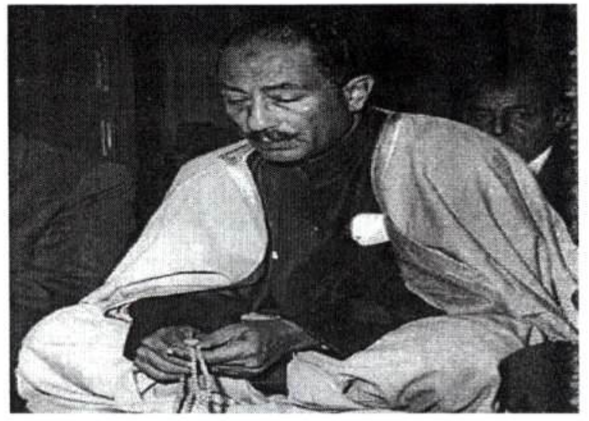


أيمن الظواهري



سيد إمام الشريف صاحب مراجعات الجهاد ٢٠٠٧





الرئيس السادات





الريس السادات، ونائبه (الرئيس مبارك)، والمشير ابو غزالة فى

العرض العسكري قبل تنفيذ الاغتيال

الفهـــرس